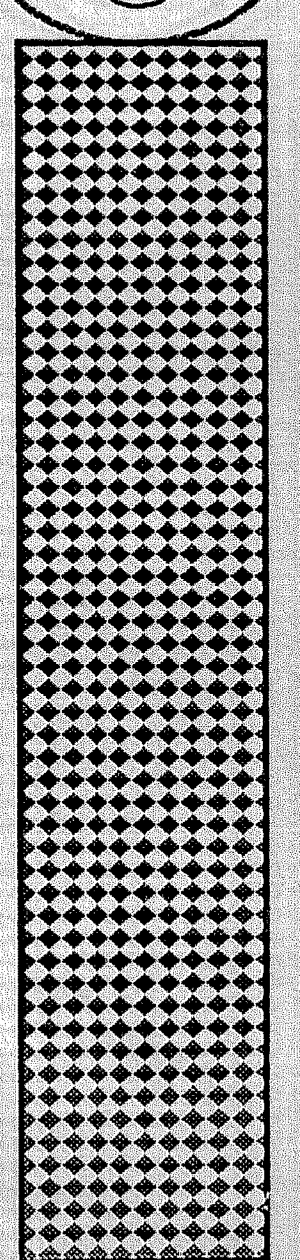
لا إله إلا الله - محمد رسول الله

سلسلة
معالم الإسلام
(١)



معالم
العقيدة الإسلامية

تأليف
محمود عبد الرحمن عبد المنعم
المدرس المساعد بجامعة الأزهر

دار نهر النيل
للطباعة والنشر والتوزيع



لا إله إلا الله - محمد رسول الله

سلسلة
معالم الإسلام
١

معالم
العقيدة الإسلامية

تأليف
محمود عبد الرحمن عبد المنعم
المدرس المساعد بجامعة الأزهر

الطبعة الأولى
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م



المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، إله أحد، فرد صمد، لا صاحبة له ولا ولد .

(قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد)(١)

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، أرسله ربه بالبينات والهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا .

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد ..

فإن باب الإسلام هو توحيد الله عز وجل ، فلا يستطيع أحد أن يدعى الإسلام قبل أن يقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله . فإذا قالها كان فى عداد المسلمين له ما لهم، وعليه ما عليهم من الحقوقِ والواجبات .

وهذه الكلمة خطيرة الشأن فهى :

١ – تشتمل على معانى التوحيد .

٢ – لا يقبل الله عمل أحد مهما كان صالحا فى ظاهره إلا بها .

قال تعالى : (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين)(٢) .

٣ – إنها ليست مجرد كلمة تقال، فلها معناها، ولقولها تكاليف، والمشركون فى مكة كانوا يفهمون معناها جيدا، لذا أبوا أن يقولوها، فلو كانوا يعلمون أنها مجرد كلمة لقالوها وانتهت المشاكل، ولمَا كانت هناك حروب ومعارك .

(فاعلم أنه لا إله إلا الله)(٣) .

٤ – وهى الحقيقة الدائمة التى لا يعتورها تغير ولا تبدل، فهى من الثوابت، لذا قال الله فى شأنها: (وجعلها –أى: جعل إبراهيم عليه السلام لا إله إلا الله– كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون)(٤).

---

(١) سورة الإخلاص .

(٢) سورة الزمر الآية : ٦٥ .

(٣) سورة محمد الآية : ١٩ .

(٤) سورة الزخرف الآية : ٢٨ .

لذا أرسل الله عز وجل بها جميع رسله وأنبيائه .

قال الله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)[1] .

وفى رسالة نوح قال تعالى : (لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)[2].

وفى رسالة هود قال تعالى : (وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون)[3].

وكانت رسالة إبراهيم في التوحيد، فقد دعا قومه وأباه إلى توحيد الله، وجادلهم كثيرا وقام عمليا بإثبات أن الأصنام لا تنفع ولا تضر، فكسر أصنامهم وتحمل إيذاءا شديدا لولا عناية الله ورعايته له .

وكذا موسى عليه السلام، وعيسى، ومحمد -صلى الله عليهم وسلم أجمعين- بعثوا بالتوحيد الخالص .

التوحيد الذى له أثره فى القلوب وعلى الجوارح .

التوحيد الذى يكون من خلاله منهاج حياة منبثق منه ..

التوحيد الذى يؤثر على الحياة بأسرها فيخضعها لله ويهتف المسلم الموحد بقوله تعالى ..

(قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)[4].

لأنها أساس إسلام العبد لله ، والأساس إن لم يكن متينا لا يقام عليه بناء شامخ، وبناء الإسلام شامخ عظيم، فلابد أن يكون له أساس متين من الإيمان بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا ورسولا .

لذا عزمت أن أكتب سطورا فى العقيدة، أسجل فيها أركان الإيمان وما يتعلق بها، وأبين عقيدة الإسلام، وأنها ليست عقيدة لاهوتية جامدة، وإنما هى عقيدة عملية دافعة، إنها ليست عقيدة سلبية وإنما هى عقيدة إيجابية، بل الإيجابية إحدى سماتها .

---

(١) سورة الأنبياء الآية : ٢٥ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ٥٩ .

(٣) سورة الأعراف : ٦٥ .

(٤) سورة الأنعام: ١٦٢ ، ١٦٣.

تكون هذه السطور تذكرة لنفسي ، وتذكرة لإخواني المسلمين الذين جمعتنا سويا هذه العقيدة على بعد الديار واختلاف الأوطان .

ولقد توخيت في هذه السطور اليسر في العرض ، وآثرت الكلمة المعهودة على الكلمة المهجورة، وما ساغ من العبارات على ما غرب، حتى يسهل على القارىء استيعابه وإدراك ما فيه، ولقد ذلل أسلوبه حتى صار في متناول الناشئة، وهي مرحلة قل أن تجد من كتب في العقيدة لها .

كما أنني أضربت عن مواطن الخلاف، واكتفيت بمواطن الاتفاق، وهي جل مسائل العقيدة، وآثرت عرض مذهب السلف على غيره، ولم أتعرض لبيان آراء الفرق المختلفة كالمعتزله، والجبرية، والجهمية، والشيعة وغيرهم ، وكان ملاذي في ذلك كتاب الله ، وما صح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما فهمه السلف الصالح من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم من الأئمة المجتهدين كأبي حنيفة ، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل وغيرهم .

ولقد أضفت بعض المباحث المهمة المتعلقة بالعقيدة في آخر هذا الكتاب فإنها إما ملحقة بالعقيدة، أو ثمرة من ثمارها، وأثر من آثارها .

راجيا الله أن ينفعني والمسلمين بهذه السطور، فيكون لها واقع عملي في أرض الله هداية لنا ولغيرنا إن شاء الله .

كما أسأل الله أن يجبر تقصيري، وأن يغفر زلتي، وأن يردني إلى الصواب فيما أخطأت فيه، وأن يجعل هذا الجهد خالصا لوجهه في ميزان الحسنات يوم القيامة .

إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير ....

كتبه

محمود عبد الرحمن عبد المنعم

جامعة الأزهر

القاهرة في

١٠ شوال ١٤١٣ هـ ١٢ أبريل ١٩٩٢م

عقيدة الإسلام

إن عقيدة الإسلام ليست ألغازا مبهمة تحار فيها العقول وتحتاج إلى من يبين إبهامها ويزيل غموضها ويحل إشكالها، ولكنها من الوضوح والبيان بمكان لا يخفى على الطفل والناشئة أن يفهموها جيدا، فليست بحاجة لأن يقول قائل فى شأنها هروبا من الإلحاح فى السؤال : أغمض عينك واتبعنى، أو يقول: آمن أولا ثم ناقش .

من هنا جاءت آيات القرآن، وأحاديث الرسول-صلى الله عليه وسلم-واضحة تمام الوضوح فى الحديث عن العقيدة، حتى إن السور القصيرة تنزل لتشرح العقيدة أو تلخصها، كسورة الإخلاص التى لم تزد فى المصحف على سطر واحد، ذلك أنها عقيدة توافق الفطرة التى خلق الله الإنسان عليها ولا تخالفها .

وهى لا تخالف البدهيات، والمسلمات، وإنما هى واحدة منها، لذا كان النظر فى الكون والتفكر فيه وفى سنن الله الكونية مساعدا لاستقرار الإيمان، فإن الإنسان إذا جرد نفسه من الهوى وتفكر فى خلق الله تعالى قاده ذلك إلى مزيد من اليقين والإيمان الحق بالله خالق السموات والأرض .

قال الله تعالى : (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار)[١].

وقال تعالى : (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)[٢].

وقال تعالى: (فلينظر الإنسان إلى طعامه. أنا صببنا الماء صبا. ثم شققنا الأرض شقا. فأنبتنا فيها حبا. وعنبا وقضبا. وزيتونا ونخلا. وحدائق غلبا. وفاكهة وأبا. متاعا لكم ولأنعامكم)[٣].

وقال تعالى: (فلينظر الإنسان مم خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب. إنه على رجعه لقادر)[٤].

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٩٠ ، ١٩١ .

(٢) سورة يونس الآية : ١٠١ .

(٣) سورة عبس الآية : ٢٤ : ٣٢

(٤) سورة الطارق الآية : ٥ : ٨ .

وقال تعالى: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت)(١).

كما أن عقيدة الإسلام ليست معرفة مجردة خالية من الروح غير دافعة إلى عمل، أو منزوية عن الحياة، كلا كلا ، ولكنها إيمان قلبى يغمر القلب والوجدان جميعا بالله تعالى وبأسمائه الحسنى ، وصفاته العليا، ثم ينضح على الجوارح - بعد النطق به - عملا صالحا يرضى عنه الله ورسوله .

إن هذا الإيمان القلبى يحتاج إلى دليل وبرهان عليه، وهذا الدليل والبرهان هو العمل الصالح ، وقد جاء فى الأثر عن الحسن البصرى: «ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل، وإن قوما غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، وقالوا: نحن نحسن الظن بالله، وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل»، وهذه الأعمال التى هى ثمرة الإيمان ودليله ليست اختراع إنسان، ولاعادة قوم، ولا عرف بلد، ولكنها أعمال حددها الله سبحانه وتعالى تحديدا، ثم ترك مساحة واسعة لمن يريد قربا من الله أكبر، وثوابا منه أعظم أن يملأ ما يقدر عليه منها، لأن هذه العقيدة تقول:

لا يعبد إلا الله وحده، ولا يعبد الله إلا بما شرع .

ثم يكون حظ العبد من هذا الإيمان قوة وضعفا على قدر عمله واجتهاده .

قال عمر بن عبد العزيز: «إن للإيمان فرائض، وشرائع ، وحدودا، وسننا، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا، بها وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص»(٢).

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : «الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»(٣).

ففى هذا الحديث الشريف بين النبى صلى الله عليه وسلم عدد شعب

---

(١) سورة الغاشية الآية : ١٧ : ٢٠ .

(٢) صحيح البخارى، كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النبى - صلى الله عليه وسلم - بنى الإسلام على خمس ١/ ١٠ - ط. عيسى الحلبى .

(٣)صحيح مسلم حديث رقم(٥٨) جـ١/ ٦٣،ط. عيسى الحلبى ترقيم: الأستاذ/ محمد فؤاد عبد الباقى.

الإيمان[1] إجمالا، ثم ضرب لنا أمثلة ثلاثة من تلك الشعب:

الأول : أعلى هذه الشعب، وهى : لا إله إلا الله .

الثانى: أدنى هذه الشعب، وهى: إماطة الأذى عن الطريق .

الثالث: شعبة متوسطة بين هذه وتلك، وهى : الحياء .

وينبغى أن يعلم كذلك: أن بعض هذه الشعب أركان للإيمان، لا يتحقق إيما العبد حتى يؤمن بها جميعا، وبعضها فرائض واجبة الأداء يستحق على أدائ الثواب ويستحق على تركها العقاب، وقد يكفر إن جحدها .

وبعضها أخلاق وسلوك بما فيها من أخلاق واجبة، وأخلاق مندوبة، بمعنى أ العبد إن فعلها كان له ثواب عظيم عند الله، دون أن يرتب على تركها عقا وبعضها متعلق بأمور المعاملات بما فيها من بيع وشراء، وأخذ وعطاء، بدرجا المختلفة .

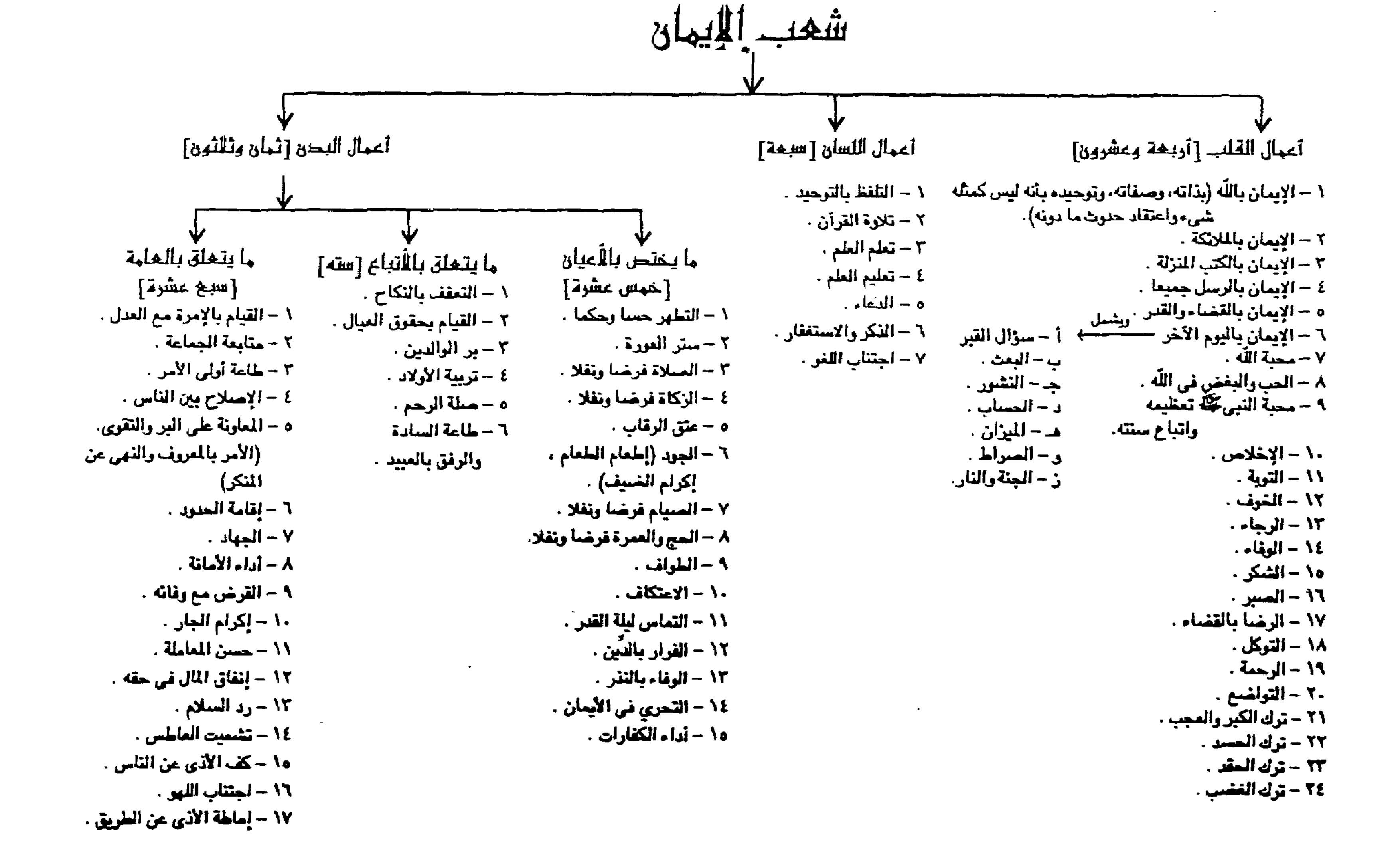
فهذه الشعب: متفاوته كما جاء فى الحديث الآنف الذكر .

وهى كذلك شاملة للعقيدة، والأخلاق ، والعبادات ، والمعاملات .

وقد اجتهد العلماء فى حصر هذه الشعب، ويجدر أن أذكر مسلكا م مسالكهم وهو مسلك ابن حبان، الذى رجحه الإمام ابن حجر فى فتح البار وذكره. وها أنذا أذكرها لك فى جدول موزعة على أقسامها حتى يتيسر فهمها

---

(١) لا خلاف بين تعدادها بضعا وستين، وبين بضعا وسبعين، فإنها بضع وستون، وبعضها فيه تفصيلات لو عدت لصارت بضعاً وسبعين كما بين ذلك الإمام ابن حجر فى فتح البارى شرح البخار ٦٨/١ ريان.



شعب الإيمان
أعمال القلب [أربعة وعشرون]
١ – الإيمان بالله (بذاته، وصفاته، وتوحيده بأنه ليس كمثله شيء واعتقاد حدوث ما دونه).
٢ – الإيمان بالملائكة .
٣ – الإيمان بالكتب المنزلة .
٤ – الإيمان بالرسل جميعا .
٥ – الإيمان بالقضاء والقدر .
٦ – الإيمان باليوم الآخر
ويشمل
أ – سؤال القبر
ب – البعث .
جـ – النشور .
د – الحساب .
هـ – الميزان .
و – الصراط .
ز – الجنة والنار .
٧ – محبة الله .
٨ – الحب والبغض في الله .
٩ – محبة النبي ﷺ تعظيمه واتباع سنته .
١٠ – الإخلاص .
١١ – التوبة .
١٢ – الخوف .
١٣ – الرجاء .
١٤ – الوفاء .
١٥ – الشكر .
١٦ – الصبر .
١٧ – الرضا بالقضاء .
١٨ – التوكل .
١٩ – الرحمة .
٢٠ – التواضع .
٢١ – ترك الكبر والعجب .
٢٢ – ترك الحسد .
٢٣ – ترك الحقد .
٢٤ – ترك الغضب .
أعمال اللسان [سبعة]
١ – التلفظ بالتوحيد .
٢ – تلاوة القرآن .
٣ – تعلم العلم .
٤ – تعليم العلم .
٥ – الدعاء .
٦ – الذكر والاستغفار .
٧ – اجتناب اللغو .
أعمال البدن [ثمان وثلاثون]
ما يختص بالأعيان [خمس عشرة]
١ – التطهر حسا وحكما .
٢ – ستر العورة .
٣ – الصلاة فرضا ونفلا .
٤ – الزكاة فرضا ونفلا .
٥ – عتق الرقاب .
٦ – الجود (إطعام الطعام ، إكرام الضيف) .
٧ – الصيام فرضا ونفلا .
٨ – الحج والعمرة فرضا ونفلا .
٩ – الطواف .
١٠ – الاعتكاف .
١١ – التماس ليلة القدر .
١٢ – الفرار بالدين .
١٣ – الوفاء بالنذر .
١٤ – التحري في الأيمان .
١٥ – أداء الكفارات .
ما يتعلق بالأتباع [ستة]
١ – التعفف بالنكاح .
٢ – القيام بحقوق العيال .
٣ – بر الوالدين .
٤ – تربية الأولاد .
٥ – صلة الرحم .
٦ – طاعة السادة والرفق بالعبيد .
ما يتعلق بالعامة [سبع عشرة]
١ – القيام بالإمرة مع العدل .
٢ – متابعة الجماعة .
٣ – طاعة أولى الأمر .
٤ – الإصلاح بين الناس .
٥ – المعاونة على البر والتقوى. (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)
٦ – إقامة الحدود .
٧ – الجهاد .
٨ – أداء الأمانة .
٩ – القرض مع وفائه .
١٠ – إكرام الجار .
١١ – حسن المعاملة .
١٢ – إنفاق المال في حقه .
١٣ – رد السلام .
١٤ – تشميت العاطس .
١٥ – كف الأذى عن الناس .
١٦ – اجتناب اللهو .
١٧ – إماطة الأذى عن الطريق .

مع ملاحظة أن هذه الشعب قد نال كل جارحة من جوارح الإنسان حظا منها، فمنها ما هو متعلق بالقلب كما سبق، ومنها ما هو متعلق باللسان، ومنها ما هو متعلق بالجوارح. فعلى السمع تكاليف، وكذا على النظر، والذوق، والشم واللمس[1] .

والناس يتفاوتون فى أداء هذه الشعب وتحقيقها، فمن فعلها جميعا مخلصا لله قلبه مريدا للثواب، لا يبغى إلا وجهه ورضاه، والجنة، ولا يتطلع إلا إلى النجاة من النار وأهوالها، كان إيمانه كاملا تاما .

ومن قصر فيها جميعا فليس له من الإيمان إلا الدعوى المجردة .

ومن قصر فى بعضها وأدى بعضها، كان له من الإيمان على قدر ما أدى من الأعمال بمراتبها ودرجاتها، وكان فاقدا لجزء من الإيمان على قدر ما ترك أو قصر، فقد سأل النبى - صلى الله عليه وسلم - حارثة قائلا له : كيف أصبحت يا حارثة؟ فقال: «أصبحت مؤمنا حقا» فلم يقبل منه هذه الإجابة دون أن يسأله عن الدليل والبرهان فقال له: إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة قولك، وصدق إيمانك؟

فقال : عزفت نفسى عن الدنيا، فأسهرت ليلها وأظمأت نهارها، وظللت كأنى أنظر إلى عرش ربى بارزا، وإلى أهل الجنة يتنعمون فيها، وإلى أهل النار يعذبون فيها . فقال له: عرفت فالزم»[2] .

وبعد، فخلاصة ما سبق :

١ - أن عقيدة الإسلام عقيدة سهلة لا غموض فيها .

٢ - أنها توافق الفطرة السليمة ولا تخالفها .

٣ - أنه يعمقها العلم والتفكر فى الكون .

٤ - أنها عقيدة عملية، فالإيمان قول وعمل .

٥ - أن الإيمان بها يزيد بالعمل الصالح، وينقص بالعمل السيىء .

٦ - أنها ذات شعب وأركان وفرائض .

٧ - أن شعبها وأركانها متفاوتة فى درجاتها، وأنها موزعة على قلب الإنسان ولسانه، وبقية جوارحه .

---

(١) انظر : مدارج السالكين لابن القيم ١٠٩/١ - ١٢٢ .

(٢) أخرجه الطبرانى بإسناده عن الحارث بن مالك الأنصارى .

أركان الإيمان

قال تعالى :

[ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون .

سورة البقرة الآية (١٧٧)

وقال صلى الله عليه وسلم :

« .... الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» .

متفق عليه (من حديث طويل) اللؤلؤ والمرجان ١/٢ رقم (٥)

فاعلم أنه لا إله إلا الله

لقد أمر الله الرسول – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين أن يـ
التوحيد، إنه لم يأمرهم أن يقولوها، إنما أمرهم أن يحصلوا حقيقة
بمعنى تيقنها بمعناها الحقيقي ، فإذا نطق بها بعد ذلك، كان ذا
وشهادة بما وقع في قلبه من اليقين، بوجود الله – تعالى – وأنه سبحـ
غيره ولا معبود سواه، وأنه سبحانه له الخلق والأمر (وهو الله لا إله
الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون)[1] .

ولقد عد القرآن الكريم، والسنة الشريفة، الإيمان بالله أول أركان ا
هو أصل الإيمان، وما عداه يعتبر تابعا لهذا الأصل .

وليس معنى الإيمان بالله أن يؤمن العبد بوجود الله فقط ، بل إن مـ
من ذلك، وأشمل؛ فإن الإيمان بوجوده له ما يتبعه من الضرورات الإ
كان المشركون يؤمنون بوجود الله – تعالى – بل ويؤمنون بأنه خالق
وأنه الرازق، ومع ذلك لم يعدهم الإسلام مؤمنين، لأنهم أشركوا مع الله

قال الله تعالى : (قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يمـ
والأبصار ومن يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ومن
فسيقولون الله، فقل أفلا تتقون، فذلكم الله ربكم الحق، فماذا بعد
الضلال فأنى تصرفون»[2] .

ويقول أيضا: (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون. سيقولو
أفلا تذكرون، قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم. سيقولو
أفلا تتقون، قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار علي
تعلمون. سيقولون لله. قل فأنى تسحرون) ثم قال سبحانه بعد ذلك مـ
أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون. ما اتخذ الله من ولد وما كان معه
لذهب كل إله بما خلق. ولعلا بعضهم على بعض. سبحان الله عما يصـ
الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون)[3] .

---

(١) سورة القصص الآية : ٧٠ .

(٢)سورة يونس الآية : ٣١ ، ٣٢ .

(٣) سورة المؤمنون الآية : ٨٤ : ٩٢ .

وقد قال الرجل الأعرابى بفطرته: «البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أفلا يدل ذلك على اللطيف الخبير؟!» .

ولقد كان بنظره وتأمله يعلم أن الكون ما خلق عبثا، وما خلق نفسه وما ادعى أحد أنه خلقه ولا أنه خلق نفسه، فلم يبق إلا أن يعلم أن خالقه هو الله رب العالمين، وبهذا ذكرهم القرآن وحاجهم (أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون، أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون، أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون، أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين، إلى آخر هذه الآيات)[1].

إن كونا بهذا النظام الفذ ، وبهذا الإتقان المعجز، والتكامل العظيم، بما فيه من أجرام كونية، من نجوم وكواكب، وبما فيه من بحار، وأنهار ، وجبال ، وسهول، ووديان، لجدير أن لا يشك الإنسان لحظة أنه من خلق الله، وجدير به أن يلهج لسانه بقول: (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار)[2] .

(ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت)[3] (فتبارك الله أحسن الخالقين)[4] .

(الذى خلق فسوى)[5] :

«لقد خلق الله كل شىء فسواه، فأكمل صنعته، وبلغ به غاية الكمال الذى يناسبه، والذى قدر لكل مخلوق وظيفته وطريقته وغايته، فهداه إلى ما خلقه لأجله، وألهمه غاية وجوده، وقدر له ما يصلحه مدة بقائه، وهداه إليه أيضا، وهذه الحقيقة الكبرى ماثلة فى كل شىء فى هذا الوجود، يشهد بها كل شىء فى رحاب الوجود، من الكبير إلى الصغير، ومن الجليل إلى الحقير، كل شىء مسوى فى صنعته، كامل فى خلقته، معد لأداء وظيفته، مقدر له غاية وجوده، وهو ميسر لتحقيق هذه الغاية من أيسر طريق، وجميع الأشياء مجتمعة كاملة التناسق، ميسرة لكى تؤدى فى تجمعها دورها الجماعى، مثلما هى ميسرة فرادى لكى تؤدى دورها الفردى» [6] .

---

(١) سورة الطور الآية: ٣٥:٣٧. استمع إليها جبير بن مطعم فى الصلاة من رسول الله ﷺ فى صلاة المغرب فقال: فلما سمعتها : كاد قلبى أن يطير وفى رواية (يتصدع) وهو حديث فى صحيح مسلم .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٩١ .

(٣) سورة الملك الآية: ٣ .

(٤) سورة المؤمنون الآية: ١٤.

(٥) سورة الأعلى الآية: ٣.

(٦) فى ظلال القرآن للأستاذ/ سيد قطب : ٢٨٨٣/٦ . ٢٨٨٤ طـ دار الشروق.

وكل شىء عنده بمقدار (١) :

لقد قال العلماء : إن الكون قد وضع كل شىء فيه فى موضعه اللائق به الذى لا يصلح له ولغيره إلا هذا الموضع ، وبحجم يتناسب معه ومع غيره أيضا حتى يحدث التكامل والتعاون ، فلو كانت الشمس أقرب من موضعها الذى هى فيه إلى الأرض لتفحم الكون واحترق، ولاستحالت الحياة .

ولو كانت بعيدة عن هذا الموضع، لتجمدت الحياة من البرد.

ولو اقترب القمر عن ذلك الموضع أو كان حجمه أكبر، لغمرت المياه الأرض من المد، ولغرقت، ولما كانت هناك حياة.

ولو بعد عن ذلك أو كان أصغر، لغارت مياه البحار، ولما استقرت حياة.

ولو كانت مياه البحر أكثر مما هى عليه الآن، لفسدت الحياة.

ولو كانت أقل من ذلك لتعفنت الحياة، ولما وجد شىء صالح .

(صنع الله الذى أتقن كل شىء إنه خبير بما تفعلون)(٢) .

إن أقرب نجم إلينا يبعد عن الشمس فوق الأربع سنوات، إنه على مسافة تبلغ نحوا من ٢٦٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ميل، إنك لو مثلت الشمس بنقطة من حبر على هذه الصحيفة، لتمثل أقرب نجم بنقطة أخرى تبعد عن النقطة الأولى بنحو (٤) أميال .

المجرة قرص عظيم ، وهى قرص مفرطح، كالرغيف، وقطر القرص نحو من ١٠٠٫٠٠٠ سنة ضوئية، السنة الضوئية مسافة مقدارها: ٦ مليون مليون ميل، فقطر هذا القرص نحو من ٦٠٠ ألف مليون مليون ميل، وارتفاعه نحو عشر ذلك(٣) .

ولننزل مرة أخرى من الكون إلى جسم الإنسان ذاته، وما أودع الله فيه من الأسرار والعجائب، وما فيه كذلك من الأجهزة المتعددة، وكيف تعمل هذه الأجهزة فى آن واحد بلا كلفة، وحيث لا يشعر الإنسان، وعلى كل حال هو فيه، سواء كان نائما أو يقظا، جالسا، أو راقدا، أو قائما، ماشيا، أو واقفا .

---

(١) سورة الرعد الآية : ٨ . (٢) سورة النمل الآية : ٨٨ .

(٣) قبسات الرسول ﷺ ٦٤ ، ٦٥ نقلا من كتاب مع الله فى السماء د/ أحمد ذكى .

الحواس وحدها معجزة، والجلد والشعر معجزة، والأنياب والأظفار معجزة، وجهاز الهضم، والتنفس، والإنسال كلها معجزات .

كل عضو مخصص للقيام بوظيفته أو عدة وظائف، وهى كلها فى الأصل بويضة واحدة، أو حيوان منوى فى رأى العين - غير مميز الأجزاء .

كم من معجزة فى الإنسان ؟

ما العقل ؟ كيف يفكر ؟ كيف يصل إلى الحقائق ؟ كيف يرتب بعضها على بعض، ويستنبط بعضها من بعض ؟

وما التفكير، كهرباء هو ؟ أم مادة ؟ أم طاقة ؟ وكيف تميزت عن الطاقة الأخرى كلها وتفردت عنها ؟

وما الروح ؟ ذلك المجهول !

وهذا قليل جدا بجانب ما بالجسم من أجهزة وأسرار - قال الله تعالى : (وفى أنفسكم أفلا تبصرون)(١) .

وفـى كـل تحريكة وتسكينة أبدا شاهد
وفى كل شى له آية تدل على أنه الواحـد

وأخيرا أعود إلى دليل الفطرة فأقول :

سأل رجل جعفر الصادق - رضى الله عنه - «عن الله» فقال : ألم تركب البحر ؟ قال : بلى، قال : فهل هاجت الريح بكم عاصفة ؟ قال : نعم ، قال : وانقطع حينئذ أملك من الملاحين ووسائل النجاة ؟ قال : نعم ، قال : فهل خطر ببالك وانقدح فى نفسك أن هناك من يستطيع أن ينقذك إن شاء ؟ قال : نعم، قال : فذلك هو «الله» .

وإلى هذا أشارت الآية الكريمة : (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه)(٢) . والآية الكرية : (هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين)(٣) .

---

(١) سورة الذاريات الآية : ٢١ . (٢) سورة الإسراء الآية : ٦٧ .

(٣) سورة يونس الآية : ٢٢ . وانظر كتاب: الله فى العقيدة الإسلامية ص : ١٨ ط. دار الشهاب .

أسماء الله - تعالى - والأحكام المتعلقة بها :

لقد بين القرآن الكريم ، والسنة المطهرة أسماء الله - تعالى - حتى يعرف الناس خالقهم من خلال هذه الأسماء .

وقد جاء فى حديث واحد بيان تسع وتسعين اسما، حيث قال - صلى الله عليه وسلم : «لله تسعة وتسعون اسما، مائة إلا واحدا، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر» أخرجه البخارى ومسلم[١] ، ورواية البخارى (من أحصاها). وأخرجه الترمذى وزاد :

(هو الله[٢] الذى لا إله إلا هو الرحمن[٣] . الرحيم[٤] . الملك[٥] . القدوس[٦] . السلام[٧] . المؤمن[٨] . المهيمن[٩] . العزيز[١٠] . الجبار[١١] . المتكبر[١٢] . الخالق[١٣] . البارىء[١٤] . المصور[١٥] . الغفار[١٦] . القهار[١٧] . ...

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه : رقم (٧٣٩٢)، ومسلم فى صحيحه: رقم (٢٦٧٧) .

(٢) الله : علم على الذات الإلهية ، وبقية الأسماء يدل كل اسم على صفة من صفاته .

(٣) الرحمن : ذو الرحمة الشاملة التى وسعت الخلق فى أرزاقهم ومصالحهم، وعمت المؤمن والكافر .

(٤) الرحيم : ذو الرحمة للمؤمنين، كقوله تعالى : (وكان بالمؤمنين رحيما) .

(٥) الملك : المتصرف فى ملكه كيفما يشاء .

(٦) القدوس : المطهر فى ملكه .

(٧) السلام : الأمان لخلقه .

(٨) المؤمن : المصدق وعده لهم ، والمؤمن خلقه من العذاب .

(٩) المهيمن : المسيطر .

(١٠) العزيز : الغالب .

(١١) الجبار : المنفذ لأوامره ، والمصلح لشئون عباده .

(١٢) المتكبر : العالى عن صفات الخلق المتفرد بصفات عظمته .

(١٣) الخالق : الموجد للمخلوقات من غير أصل .

(١٤) البارىء: الخالق لما فيه الروح، والموجد لما له أصل .

(١٥) المصور : المعطى لكل شىء صورة تميزه عن غيره .

(١٦) الغفار : كثير المغفرة وستر الذنوب .

(١٧) القهار : القابض على كل شىء والقاهر لكل الخلائق .

الوهاب [١] . الرزاق[٢] . الفتاح[٣] . العليم[٤] . القابض[٥] . الباسط[٦] . الخافض[٧]. الرافع[٨]. المعز[٩] . المذل[١٠]. السميع[١١] . البصير[١٢] . الحكم[١٣] . العدل[١٤] . اللطيف[١٥] . الخبير[١٦] . الحليم[١٧] . العظيم[١٨] . الغفور[١٩] . الشكور[٢٠] . العلى[٢١] . الكبير[٢٢] . الحفيظ[٢٣] . المقيت[٢٤] . الحسيب[٢٥] .

---

(١) الوهاب : كثير النعم دائم العطايا والمنن . (٢) الرزاق : خالق الأرزاق وأسبابها .

(٣) الفتاح : الذى يفتح خزائن رحمته لعباده .

(٤) العليم : العالم بكل شيء فلا تخفى عليه خافية .

(٥) القابض : قابض الأرواح ، أو مضيق الرزق على من يشاء .

(٦) الباسط : موسع الرزق على من يشاء .

(٧) الخافض : الذى يخفض من يشاء ممن يستحق الخزى والذل والعذاب .

(٨) الرافع : الذى يعلى من يستحق الرفعة من المؤمنين .

(٩) المعز : يعز من يستمسك بدينه ويعطيه النصرة والغلبة . (١٠) المذل : الذى يذل أعداءه .

(١١) السميع : الذى وسع سمعه الأصوات، فلا يخفى عليه سر ولا جهر .

(١٢) البصير : الذى وسع بصره الأشياء وانكشفت له انكشافا تاما .

(١٣) الحكم : الحاكم الذى لا معقب لحكمه . (١٤) العدل : الذى لا يظلم أبدا .

(١٥) اللطيف : العالم بخفايا الأمور ووقائعها، فلا تخفى عليه خافيه في الأرض ولا فى السماء .

(١٦) الخبير : الذى لا تخفى عنه خافية ولا يغيب عنه شيء .

(١٧) الحليم : الذى لا يستفزه غضب ولا يعجل بالعقوبة .

(١٨) العظيم : المتصف بالجلال والجمال .

(١٩) الغفور : كثير الغفران .

(٢٠) الشكور : الذى يعطى الكثير على العمل القليل .

(٢١) العلى : المرتفع الذى بلغ الغاية التى لا يدركها إلا هو فى علو المرتبة .

(٢٢) الكبير : الذى لا تقدر الحواس على إدراكه ، والعقول عن تصور ذاته .

(٢٣) الحفيظ : الذى يمنع الأشياء من الخلل والفساد .

(٢٤) المقيت : الذى خلق الغذاء المادى والروحى .

(٢٥) الحسيب : الذى يكفى عباده أو الذى يحاسبهم يوم القيامة .

الجليل[1] . الكريم [2] . الرقيب [3] . المجيب[4] . الواسع[5] . الحكيم[6]. الودود(٧). المجيد(٨). الباعث(٩). الشهيد(١٠). الحق(١١). الوكيل(١٢). القوى(١٣). المتين(١٤). الولى(١٥). الحميد(١٦). المحصى(١٧). المبدىء(١٨). المعيد(١٩). المحيى(٢٠). المميت(٢١). الحى(٢٢)..

---

(١) الجليل : الذى له صفات العظمة والكمال، لكمال صفاته .

(٢) الكريم : المعطى من غير سؤال ولا عوض .

(٣) الرقيب : الذى يلاحظ الأشياء فلا يغيب عنه شىء .

(٤) المجيب : الذى يستجيب دعاء من دعاه .

(٥) الواسع : الذى عمت رحمته كل شىء ، ووسع علمه كل شىء .

(٦) الحكيم : صاحب الحكمة البالغة لكمال علمه، واتقان كل شىء .

(٧) الودود : المحب الخير لخلقه، والمحسن إليهم فى كل الأحوال .

(٨) المجيد : الذى بلغ النهاية فى المجد والشرف .

(٩) الباعث معناه : باعث الرسل، وباعث من فى القبور، وغير ذلك .

(١٠) الشهيد : الحاضر دائما فلا يغيب ولا تخفى عليه خافية .

(١١) الحق : الثابت الذى لا يتغير .

(١٢) الوكيل : القائم بأمور عباده وسائر ما يحتاجون إليه .

(١٣) القوى : الذى فاقت قدرته كل شىء .

(١٤) المتين : الذى لا نهاية لشدته سبحانه وتعالى .

(١٥) الولى: الذى يتولى أمر خلقه دون سواه .

(١٦) الحميد : المستحق للحمد والثناء على نعمه وأفضاله التى لا تحصى .

(١٧) المحصى : الذى لا يغيب عن علمه شىء .

(١٨) المبدىء : الموجد للأشياء من العدم .

(١٩) المعيد : الذى يعيد الأشياء من العدم .

(٢٠) المحيى : خالق الحياة .

(٢١) المميت : سالب الحياة من الأحياء .

(٢٢) الحى : المتصف بالحياة الكاملة الأزلية التى لم يسبقها عدم ، ولن يعتريها موت .

القيوم(١). الواجد(٢). الماجد(٣). الواحد(٤). الصمد(٥). القادر(٦). المقتدر(٧). المقدم(٨). المؤخر(٩) الأول(١٠). الآخر (١١). الظاهر (١٢) . الباطن(١٣). الوالى(١٤) . المتعالى(١٥). البر(١٦). التواب(١٧). المنتقم(١٨). العفو(١٩). الرءوف(٢٠). مالك الملك(٢١). ذو الجلال والإكرام(٢٢). المقسط(٢٣) ....

---

(١) القيوم : القائم بنفسه والقائم به غيره، فبه قامت السموات والأرض وكل شيء دونه .

(٢) الواجد : الغنى المطلق الذى لا يحتاج إلى شيء .

(٣) الماجد : الذى لا نهاية لمجده وشرفه .

(٤) الواحد : الذى لا شريك له فى ملكه، فهو واحد فى ذاته ، وصفاته ، وأفعاله .

(٥) الصمد : الذى يصمد الخلائق له أى يقصدونه فى حوائجهم كلها .

(٦) القادر : القوى الذى لا نهاية لقوته . (٧) المقتدر : الكامل القدرة .

(٨) المقدم : الذى يجعل بعض الأشياء سابقا على بعض لحكمة لا يعلمها غيره، سواء فى الزمان، أو المكان، أو الشرف .

(٩) المؤخر : الذى يجعل بعض الأشياء لاحقا لبعض لحكمة يعلمها .

(١٠) الأول : القديم الذى لا أول لوجوده .

(١١) الآخر: الباقى الذى لا آخر لوجوده .

(١٢) الظاهر: الذى ليس فوقه شيء.

(١٣) الباطن: الخفى بذاته فلا يعلم ذاته أحد . (١٤) الوالى : الذى تولى الأشياء وملكها .

(١٥) المتعالى : المنزه عن النقائص .

(١٦) البر : عظيم الإحسان على خلقه .

(١٧) التواب : الذى يوفق العصاة للتوبة ، ويقبلها منهم .

(١٨) المنتقم : شديد العقاب للعصاة المستحقين العقوبة .

(١٩) العفو : الماحى لسيئات من أناب إليه .

(٢٠) الرءوف : عظيم الرأفة والرحمة .

(٢١) مالك الملك : الذى تجرى الأمور فى كونه طبق مشيئته وقدرته وإرادته .

(٢٢) ذو الجلال والإكرام : صاحب الشرف والآلاء، ومفيض النعم على خلقه .

(٢٣) المقسط : العادل الذى لا يظلم .

الجامع (١). الغنى(٢). المغنى (٣). المانع(٤). الضار(٥). النافع(٦). النور(٧). الهادى(٨). البديع(٩). الباقى(١٠). الوارث(١١). الرشيد(١٢). الصبور(١٣).

---

(١) الجامع : الذى يجمع الناس يوم القيامة .

(٢) الغنى : الذى لا يحتاج لما عداه، والمحتاج إليه كل ما سواه .

(٣) المغنى : الذى يفيض من غناه على خلقه .

(٤) المانع : الذى يمنع أسباب الهلاك، أو الذى يحرم من يشاء بحكمته .

(٥) الضار : الذى ينزل عقوبته بمن يستحق .

(٦) النافع : الذى عم خيره البلاد والعباد .

(٧) النور : الظاهر بنفسه والمظهر لغيره .

(٨) الهادى : الذى لا هداية لأحد إلا به سبحانه ، والذى هدى كل موجود إلى ما يحفظ وجوده .

(٩) البديع : الذى لا نظير له .

(١٠) الباقى : الدائم الوجود .

(١١) الوارث : الباقى بعد فناء المخلوقات .

(١٢) الرشيد : المرشد لعباده، والذى تجرى تصاريفه بحكمة بالغة .

(١٣) الصبور : الذى لا يعاجل بالعقوبة، ولا يتعجل بشىء قبل أوانه سبحانه وتعالى .

هل لله - تعالى - أسماء أخرى ؟

أقول : نعم لقد ورد فى أحاديث أسماء أخرى لله، غير ما ذكر فى الحديث السابق.

فقد ورد : الحنَّان ، والمنَّان، والخلاق، والمغيث، والكفيل، وذو الطول، وذو المعارج، وذو الفضل .

كما ينبغى أن تعلم أنه لا يصح أن نطلق على الله عز وجل اسماً، أو وصفا لم يرد به الشرع بقصد اتخاذه اسما له تعالى، وإن كان يشعر بالكمال، فلا يصح أن نقول: مهندس الكون الأعظم، ولا أن نقول المدير العام لشئون الخلق، على أن تكون هذه أسماء أو صفات له تعالى يصطلح عليها ويتفق على إطلاقها عليه تعالى، ولكنها إن جاءت فى عرض الكلام لبيان تصرفه تعالى من باب التقريب للأفهام فلا بأس،والأولى العدول عن ذلك تأدبا مع الحق تبارك وتعالى[(١)].

اسم الله الأعظم :

ورد بيان اسم الله الأعظم الذى إذا دعى الله به أجاب، وإذا سئل به أعطى فى أحاديث عدة منها :

١ - عن بريدة - رضى الله عنه - قال : سمع النبى - صلى الله عليه وسلم - رجلا يدعو وهو يقول: اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، قال: فقال: «والذى نفسى بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى»[(٢)] .

٢ - عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : دخل النبى صلى الله عليه وسلم المسجد ورجل قد صلى وهو يدعو الله ويقول فى دعائه : اللهم لا إله إلا أنت ، أنت المنان ، بديع السموات والأرض، ذا الجلال والإكرام ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم أتدرون بم دعا الله؟ دعا الله باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى[(٣)] .

---

(١) رسالة العقائد للشيخ الإمام/ حسن البنا ص ٢١ . ط. دار الشهاب .

(٢) و (٣) رواه أبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه .

٣ – وعن أسماء بنت يزيد – رضى الله عنها – أن النبى – صلى الله عليه وسلم قال : اسم الله الأعظم فى هاتين الآيتين : «وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، وفاتحة آل عمران : الم . الله لا إله إلا هو الحى القيوم»(١).

وحيث تعددت الأدعية وورد فى الأحاديث أنها اسم الله الأعظم ، دل ذلك على أن اسم الله الأعظم ليس اسما محددا دون غيره ، إنما يؤخذ من مجموع ما سبق: أن أى دعاء فيه ثناء على الله بأسمائه وصفاته على هذا النحو فهو من اسم الله الأعظم .

وينبغى أن يعلم : أنه لا يجوز ادعاء أن اسم الله الأعظم فى ألفاظ غير مفهومة ولا يدرى المراد منها، أو أن اسم الله الأعظم سر من الأسرار، اختص الله به بعض خلقه، فتلك دعوى عارية عن الدليل .

ويكفينا ما ورد عن النبى–صلى الله عليه وسلم– ففيه الكفاية والهداية، وينبغى أن يتأمل العبد فيها، ويدرك معناها، حتى تنفعل بها نفسه، ويتخذها نبراسا، ويفتح الله عز وجل له آفاقا من معرفته ببركة وقوفه على الوارد من الشرع.

الدعاء والحلف بأسماء الله تعالى :

من خلال ما سبق نعلم أنه ينبغى أن يسأل العبد ربه بأسمائه الحسنى، وقد قال تعالى : «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها، وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعلمون»(٢).

ومعنى ذلك: اطلبوا منه بأسمائه ، فيطلب بكل اسم ما يليق به، تقول يا رحيم ارحمنى، يا حكيم احكم لى، يا رزاق ارزقنى، يا هادى اهدنى، يا فتاح افتح لى، يا تواب تب على، هكذا، ولا تقول يا رزاق اهدنى إلا أن تريد ارزقنى الخير(٣).

ومن هنا يعلم أن هذه الأسماء هى : أيضا صفات ومعان ، فهى أسماء وصفات معا، وقد أشرنا إلى ذلك فى معانى أسماء الله الحسنى .

(والإلحاد فى أسمائه): الميل بها وترك القصد بالتغيير فيها، كما عدل المشركون، فإنهم عدلوا بها عما هى عليه فسموا بها أوثانهم، فاشتقوا (اللات) من

---

(١) رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه، وقال الترمذى حديث حسن صحيح .

(٢) سورة الأعراف الآية : ١٨٠ . (٣) تفسير القرطبى ٤/٢٧٦٣ .

(اللّه)، و(العزى) من (العزيز) ، و(مناة) من (المنان).

ومن معانى الإلحاد فيها الزيادة فيها كمن يسمى اللّه بغير اسمه، وكذلك النقصان منها، كتعطيل معانيها وزعم أنها ليست لها معان (١).

وأيضا فإن الحلف، وهو القسم، لا يكون إلا باسم من أسماء اللّه أو صفة من صفاته، وسيأتى الكلام عنها، وقد شدد الإسلام فى ذلك وجعل القسم بغير ذلك كالقسم بالآباء أو الأمانة ، أو أحد من العباد، أو شيئا من الأشياء نوعا من أنواع الشرك، لأنه تعظيم لغير اللّه بما لا يستحق، وبما لم يأذن به اللّه، وأيضا كأن الحالف يدعو على نفسه أن ينتقم المحلوف به إن كان كاذبا، أو لم يفعل ما حلف عليه، وذلك لا يكون إلا للّه عز وجل .

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم «إن اللّه ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف باللّه أو ليصمت» (٢).

وقال : «من حلف بغير اللّه فقد أشرك» (٣).

وقال : «من حلف بالأمانة ، فليس منا» (٤).

---

(١) انظر فى هذا المعنى : تفسير القرطبى ٢٧٥٤/٤ .

(٢) هذا الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر (اللؤلؤ والمرجان ١٧٠/٢ رقم (١٠٦٧) وأخرجه أبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، والدارمى، والإمام مالك، والإمام أحمد .

(انظر: كشف الخفاء للعجلونى ٤٧٢/٢ رقم (٣٠٨)، ومفتاح كنوز السنة ص ٧٠)

(٣) أخرجه الإمام أحمد، والترمذى، والحاكم عن ابن عمر، وحسنه السيوطى (الجامع الصغير ص٣٠٤).

(٤) أخرجه هكذا أبو داود عن بريدة برقم (٣٢٥٣) ، وأخرجه ابن حبان فى صحيحه عن ابن عمر بلفظ: «من خبب زوجة امرىء أو مملوكه فليس منا، ومن حلف بالأمانة فليس منا» الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٢٧٩/٦ رقم (٤٣٤٨) .

صفات الله - سبحانه وتعالى :

صفات الله فى القرآن الكريم كثيرة ، وكمالاته تبارك وتعالى لا تتناهى، ولا تدرك كنهها عقول البشر، سبحانه لا يحصى أحد ثناء عليه، فهو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثنى عليه المثنون .

وقبل أن نعرض صفات الله -تعالى- يجب التنبيه على أنه لا ينبغى أن نفهم هذه الصفات كما تطلق على البشر، ففرق كبير بين المخلوق والخالق، إنما تفهم على وفق قوله تعالى(ليس كمثله شىء وهو السميع البصير)[1]، فسمع الله تعالى غير سمع المخلوق، وكذلك البصر، والعلم، والحياة، فهو سبحانه لا يشبه أحدا من خلقه، والمسلم ليس مطالبا بمعرفة حقيقتها، إنما عليه أن يدرك آثارها فى الكون .

كما ينبغى أن يكف المسلم عن التفكير فى ذات الله سبحانه وتعالى، فإن المخلوق لن يقدر قدر الله سبحانه، كما ورد فى الحديث: «لا تفكروا فى ذات الله، ولكن تفكروا فى مخلوقاته فإنكم لن تقدروا قدره»[2] ، وليس ذلك حجرا على العقول وإنما لئلا يعمل العقل فى خارج مجاله ، وفوق حدود قدرته، وسيأتى فى ذلك بحث إن شاء الله .

وقد أشارت آيات القرآن الكريم، وأحاديث السنة المطهرة إلى صفات الله سبحانه وتعالى، وهذه الصفات نوعان : صفات ذاتية ، وصفات فعل .

فأما الصفات الذاتية : فهى التى لا تنفك عن الله تعالى - كالنفس ، والعلم ، والحياة، والسمع والبصر، والوجه ، والكلام ، والقدم، والملك ، والعظمة والكبرياء، والعلو، والغنى، والرحمة والحكمة .

وأما صفات الفعل : فهى ما تتعلق بمشيئته سبحانه وقدرته، كالاستواء ، والنزول والمجىء، والعجب، والضحك، والرضى، والحب، والكره، والسخط،

---

(١) سورة الشورى الآية : ١١

(٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس، ورواه ابن أبى شيبة فى كتاب العرش له من قوله عن ابن عباس بنحوه، ورواه الأصبهانى فى ترغيبه، وهو عند أحمد، والطبرانى، وأبو نعيم عن عبد الله بن سلام، وفيه قصة (انظر : كشف الخفاء ١ / ٣٧١ ، ٣٧٢) .

والفرح، والغضب، إلخ ذلك، والواجب: الإيمان بهذه الصفات بنوعيها، بالمعنى الحقيقى لها وذلك فى نطاق (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) دون علم بكيفية ذلك ، فإن كيفية ذلك ، لا يعلمها إلا الله وها أنذا أستعرض بعض هذه الصفات ومعانيها ذاكرا أدلتها كما وردت :

أولا : وجود الله - سبحانه وتعالى : -

وقد تقدم بيان ذلك وأدلته، مع أن وجوده لا يحتاج إلى دليل، بل هو فوق البرهان والدليل بشهادة الفطرة ، وشهادة هذا الكون كله فإنه ناطق بوجود خالق مدبر له، قال تعالى: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت، وإلى الأرض كيف سطحت) (١).

ثانيا : وثالثا :

صفتا القدم والبقاء :

ومعنى قدمه تعالى أنه لا أول لوجوده ، فوجوده أزلى .

ومعنى بقائه تعالى أنه لا آخر لوجوده ، فبقاؤه لا نهاية له .

أدلة ذلك من القرآن :

قول الله – تعالى – : (هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شىء عليم) (٢).

وقال تعالى : (كل شىء هالك إلا وجهه)(٣).

أدلة ذلك من السنة :

قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – فى دعائه :

« ... أنت الأول فليس قبلك شىء وأنت الآخر فليس بعدك شيىء، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء ، وأنت الباطن فليس دونك شىء، اقض عنى الدين واغننى من الفقر»(٤).

---

(١) سورة الغاشية الآيات: ١٧: ٢٠. (٢) سورة الحديد الآية: ٣. (٣) سورة القصص الآية: ٨٨.

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة وأوله : اللهم رب السموات السبع ورب الأرض ورب كل شىء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن ، أعوذ بك من شر كل ذى شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول ... إلخ » .

رابعا :

مخالفة الله للحوادث :

معناها : عدم مشابهته للحوادث في ذاته ، وصفاته ، وأفعاله .

أدلتها : قال تعالى : (قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد)(١) .

ومعنى : (الصمد) : أى يقصده الخلق في حوائجهم لها ولابن عباس في معناه كلام آخر سيأتي .

ومعنى : (ولم يكن له كفوا أحد) : لم يكن له أحد مكافئا ومماثلا، تعالى الله عن ذلك .

وقال تعالى : (فاطر السموات والأرض . جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)(٢) .

ومعنى : (فاطر السموات والأرض) : خالقهما على غير مثال سابق .

و (جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا) : بث الناس على نمط الزوجية، حيث خلق آدم من طين ، ثم خلق حواء من ضلعه ، ثم خلق الباقى من ماء ، أى: منى يمنى، ذكورا وإناثا، وكذلك من سائر الحيوانات، بل ومن النبات، والجماد حيث قال فى آية أخرى : (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)(٣) .

وفى قوله : (ليس كمثله شيء) إشارة إلى مخالفته تبارك وتعالى للحوادث من خلقه، وتنزهه عن الولد، والوالد، والشبيه، والنظير .

---

(١) سورة الإخلاص .   (٢) سورة الشورى الآية : ١١ .

(٣) سورة الذاريات الآية : ٤٩ .

خامسا :

قيام الله تعالى بنفسه :

معناها : عدم احتياجه سبحانه لأحد، فى الذات، والصفات، والأفعال .

فهو الغنى عن العالمين، والعالمون كلهم فقراء إليه، فكما أن الفقر والاحتياج وصف لازم للمخلوقات كلها، فإن الغنى وصفُ ذاتٍ لازم لله سبحانه وتعالى.

أدلتها: قول الله تعالى : (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغنى الحميد، إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ، وما ذلك على الله بعزيز)[1] .

وغنى الله غنى مطلق لا يشبه غنى البشر، بل أعلى وأجل، فهو غنى يليق بجلال الله سبحانه وتعالى، فإن غنى البشر محدود له نهاية، بخلاف غناه سبحانه وتعالى، وغنى البشر يخاف عليه من الزوال، وغنى الله لا زوال له أبدا ، وغنى البشر سبقه الفقر، لكن غنى الله سبحانه وتعالى غنى أزلى لا أول له .

سادسا :

الوحدانية :

معناها : أن الله سبحانه وتعالى: واحد فى ذاته واحد فى صفاته ، واحد فى أفعاله، ليس له شريك فى ملكه، وليس له ولد، ولا زوجة، لأنه ليس بحاجة إلى شيء من ذلك إنما يحتاج إليها العاجز .

وتأمل معى هذه الآيات الكريمات الطيبات، أحضر قلبك واقرأها وكأنها تتنزل عليك الآن، يعمر قلبك بتوحيد الله ، وتنزيهه، وعلوه، وأن له صفات الجمال، والكمال، والجلال، قال الله سبحانه وتعالى :

(قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون ، أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله، بل هم قوم يعدلون. أمن جعل الأرض قرارا، وجعل خلالها أنهارا، وجعل لها رواسى، وجعل بين البحرين حاجزا، أإله مع الله؟ بل أكثرهم لا يعلمون. أمن يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون. أمن

---

(١) سورة فاطر الآية : ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله تعالى الله عما يشركون . أمن يبدأ الخلق ثم يعيده، ومن يرزقكم من السماء والأرض، أإله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)(١) .

بعض المعانى من الآيات السابقة(٢) :

* يقول الله آمرا رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يقول : (الحمد لله) أى: على نعمه على عباده، من النعم التى لا تعد ولا تحصى، وعلى ما اتصف به من الصفات العلى والأسماء الحسنى، وأن يسلم على عباد الله الذين اصطفاهم، واختارهم، وهم رسله وأنبياؤه الكرام ، عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام .

ومعنى (آلله خير أما يشركون) : استفهام إنكارى على المشركين فى عبادتهم مع الله آلهة أخرى .

** ذكر سبحانه أنه المنفرد بالخلق، والرزق، والتدبير، دون غيره ، فهو الذى خلق السموات في ارتفاعها ، وصفائها، وما جعل فيها من الكواكب النيرة، والنجوم الزاهرة ، والأفلاك الدائرة، وخلق الأرض فى استفالها، وكثافتها، وما جعل فيها من الجبال، والسهول والفيافى، والقفار ، والزروع والأشجار، والثمار، والبحار، والحيوان على اختلاف الأصناف؛ والأشكال، والألوان ، وغير ذلك .

ومعنى : (حدائق) : أى : بساتين .

و (ذات بهجة) : أى منظر حسن وشكل بهى .

و(ما كان لكم أن تنبوا شجرها) : أى : لم تكونوا تقدرون على إنبات أشجارها، وإنما يقدر على ذلك الخالق الرازق المستقل بذلك المتفرد به دون ما سواه .

و (أإله مع الله) : أى أإله مع الله يعبد، وقد تبين لكم ولكل ذى لب أنه الخالق، الرازق، أو يكون المعنى: أإله مع الله فعل ذلك (بل هم قوم يعدلون) أى يجعل المشركون لله عدلا، ونظيرا .

*** ومعنى (جعل الأرض قرارا): أى قارة ساكنة ثابته لا تميد ولا تتحرك

---

(١) [illegible] ة النمل الآيات : ٥٩ : ٦٤ .

(٢) [illegible] فى هذه الآيات مستلة من تفسير ابن كثير ٣/٣٦٩ - ٣٧٢ ط. دار التراث مصر.

بأهلها، ولا ترجف بهم، فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة.

(رواسى) : جبالا شامخة ترسى الأرض وتثبتها لئلا تميد بالناس .

(جعل بين البحرين حاجزا) أي جعل بين الماء العذب ، والمالح حاجزا، أي: مانعا يمنعها من الاختلاط لئلا يفسد هذا بهذا ، وهذا بهذا .

**** معنى ذلك: أن الله هو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل لا غيره، وقد سبق قول الإمام جعفر الصادق فارجع إليه .

***** معناها : مَنْ غير الله وضع من العلامات الهاديات، كالنجوم والدلائل الأرضية ما يهتدى به الناس في البر والبحر، وكذلك من غيره يرسل الرياح دليلا على نزول المطر؟!! لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله .

وقال سبحانه وتعالى : (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد) (١) .

وهذه السورة على وجازتها تضمنت الوحدانية لله سبحانه وتعالى، واشتملت على ما لم يشتمل عليه غيرها، ولهذا سميت سورة الإخلاص، لتجريدها التوحيد من شوائب الشرك والوثنية .

روى الإمام أحمد فى مسنده عن أبى بن كعب - رضى الله عنه - فى سبب نزولها أن المشركين قالوا : يا محمد ، انسب لنا ربك، فأنزل الله تبارك وتعالى : (قل هو الله أحد الله الصمد ...)(٢) إلخ السورة .

وقد ثبت فى الصحيح «أنها تعدل ثلث القرآن»(٣) .

وبيان ذلك : أن القرآن اشتمل على ثلاثة مقاصد أساسية :

أولها : الأوامر والنواهى المتضمنة للأحكام والشرائع العملية التى هى موضوع علم الفقه والأخلاق .

ثانيها : القصص والأخبار المتضمنة لأحوال الرسل عليهم الصلاة والسلام

---

(١) من شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية تأليف / محمد خليل هراس ص٣٤ ، ٣٥ ط. إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية .

(٢) راجع المسند جـ ٥ ص ١٣٤ ، وأخرجه أيضا الترمذى فى سننه كتاب التفسير (سورة الإخلاص).

(٣) راجع صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن باب فضل: قل هو الله أحد، وكذا مالك فى الموطأ كتاب القرآن حديث رقم : ١٧ وقد أخرجه أصحاب السنن الأربع .

مع أممهم وأنواع الهلاك التى حاقت المكذبين لهم وأحوالهم، والوعد والوعيد، وتفاصيل الثواب والعقاب .

ثالثها : علم التوحيد، وما يجب على العباد من معرفة الله بأسمائه، وصفاته: وهو أشرف الثلاثة، ولما كانت سورة الإخلاص قد تضمنت أصول هذا العلم، واشتملت عليه إجمالا، صح أن يقول (ﷺ) إنها تعدل ثلث القرآن .

وإليك بعض معانى هذه السورة ليتضح لك بعض ما ذكرنا:

(الله أحد) دلت على نفي الشريك من كل وجه، فى الذات، وفى الصفات، وفى الأفعال ، كما دلت على تفرده سبحانه بالعظمة، والكمال، والمجد ، والجلال والكبرياء، ولهذا لا يطلق لفظ أحد فى الإثبات - ضد النفى - إلا على الله عز وجل، وهو أبلغ من واحد .

(الله الصمد) قد فسرها ابن عباس - رضى الله عنه - بقوله : السيد الذى كمل فى سؤدده، والشريف الذى كمل فى شرفه، والعظيم الذى قد كمل فى عظمته، والحليم الذى قد كمل فى حلمه، والغنى الذى قد كمل فى غناه، والجبار الذى قد كمل فى جبروته، والعليم الذى قد كمل فى علمه، والحكيم الذى قد كمل فى حكمه، وهو الذى قد كمل فى أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله عز وجل، هذه صفته لا تنبغى إلا له، ليس له كفء، وليس كمثله شىء .

وأما توحيد التنزيه فيؤخذ من قوله تعالى : (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد). أى: لم يتفرع عنه شىء، ولم يتفرع هو عن شىء، وليس له مكافىء، ولا مماثل ولا نظير .

وقال سبحانه : (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون، عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون[1]).

---

(١) المرجع السابق ص ٣٥ - ٣٧، وتفسير ابن كثير جـ٤ والآيتان من سورة المؤمنون رقم: ٩٢، ٩٣ .

سابعا :

صفة القدرة :

وهذه الصفة واضحة بينة لكل من نظر فى كون الله الفسيح، فإن كل شىء ناطق بقدرته سبحانه من الذرة إلى المجرة، ذلك أنه على كل شىء قدير، وكل شىء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير، فقدرته لا حدود لها إنما هى قدرة مطلقة .

وآيات القرآن ناطقة بذلك بأجمل بيان وأفضل عرض ، قال تعالى :

(يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون، الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعملون)(١).

وقال تعالى : (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين، ثم إنكم بعد ذلك لميتون، ثم إنكم يوم القيامة تبعثون، ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق، وما كنا عن الخلق غافلين، وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون، فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون، وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين، وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون، وعليها وعلى الفلك تحملون)(٢).

ثامنا :

صفة الإرادة :

معناها: أن الله سبحانه وتعالى يخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه من الصفات المتقابلة فيجعله: طويلا أو قصيرا، أسود أو أبيض، عالما أو جاهلا ، فهو سبحانه يتصرف فى ملكه كيف شاء وكما أراد .

قال تعالى : (إنما قولنا لشئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون)(٣).

وتأمل معك هاتين الآيتين الكريمتين :

(قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من

---

(١) سورة البقرة الآيتان : ٢١ ، ٢٢ .

(٢) سورة المؤمنون الآيات من ١٢ : ٢٢ .

(٣) سورة النحل الآية : ٤٠ .

تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير، إنك على كل شيء قدير، تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب)(١).

فتأمل معى قوله :

(مالك الملك) الملك التام الدائم الشامل لا ملك البشر الزائل الناقص، المحدود الحادث الذى أتى بعد أن لم يكن .

و (تؤتى الملك من تشاء) فهو سبحانه يملّك من يشاء من ملكه، يملّكه إياه تمليك العارية ، إنه (إيتاء) بلا مشقة ، فلم يصل أحد إلى شيء من الملك بقواه: إنما هو محض عطاء الله لينظر الله أيتصرف فيه كما أمره، لأنه هو المالك الحقيقى، أم لا، فيسترده منه، كما قال: (وتنزع الملك ممن تشاء) وتأمل معنى (النزع) إنه أخذه بلا مشقة على أنه عطاء، ومع ذلك لما أراد أن يأخذه منه تشبث به تشبثا كبيرا، لكن لا يجدى ذلك شيئا .

ثم هو سبحانه يعز من يشاء ويذل من يشاء، بلا معقب على حكمه ، وبلا مجير عليه، وبلا راد لقضائه ، فهو صاحب الأمر كله، وما يجوز أن يتولى هذا الاختصاص أحد من دون الله، والله -سبحانه وعز وجل- يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء بالقسط والعدل، ويعز من يشاء ويذل من يشاء بالقسط والعدل ، فهو الخير الحقيقى فى جميع الحالات وهى المشيئة المطلقة، والقدرة المطلقة على تحقيق هذا الخير فى كل حال (بيدك الخير إنك على كل شيء قدير)(٢).

وقال سبحانه : (لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير)(٣).

وقال تعالى : (فعال لما يريد)(٤).

وقال تعالى : (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين)(٥).

---

(١) سورة آل عمران الآيتان ٢٧ ، ٢٧ .

(٢) انظر : فى ظلال القرآن ١/٣٨٤ ط. دار الشروق .

(٣) سورة الشورى الآيتان : ٤٩ ، ٥٠ .

(٤) سورة البروج الآية : ١٦ . (٥) سورة الإنسان الآية : ٢٠ .

ثامنا :

صفة العلم :

ومعناها : انكشاف المعلومات والموجودات وغيرها لله عز وجل انكشافا تاما، حتى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ، وعلم الله ليس كعلم المخلوقات، فعلم الإنسان ، علم حادث أى: حاصل بعد أن لم يكن، لأنه مسبوق بالجهل، وعلم الحق سبحانه أزلى، وعلم الإنسان محدود قاصر، فهو علم مشوب بالجهل من جهات متعددة، وعلم الله محيط شامل ، فالغيب عند الله شهادة ، والسر عنده علانية، فليس عند الله غيب وشهادة ، ولا سر ولا علانية، إنما هو عندنا نحن البشر .

قال الله تعالى : (وما تكون فى شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين)(١).

وقال تعالى : (ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شىءعليم)(٢).

وقال تعالى : (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور)(٣).

تاسعا :

صفة الحياة :

يقول العلماء : الحياة هى الصفة التى تصحح لموصوفها الاتصاف بالقدرة والإرادة والعلم والسمع، والبصر، فلو لم يكن حيا ما ثبتت له هذه الصفات .

وأيضا لابد من القول: إن حياة الله حياة ليست كحياة المخلوقات الحادثة، فهى حياة أزلية وحياتنا مسبوقة بالعدم، وحياة الله حياة تامة على غاية التمام والكمال، وحقيقتها لا يعلمها إلا هو، ثم إن حياة الحوادث، يعقبها الموت، أما حياته سبحانه فلا يعتريها شىء من ذلك .

---

(١) سورة يونس الآية : ٦١ . (٢) سورة المجادلة الآية : ٧ . (٣) سورة غافر الآية : ١٩ .

قال تعالى : (وتوكل على الحى الذى لا يموت)(١).

وقال تعالى فى آية الكرسى: (اللّه لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض، من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم)(٢).

تأملات فى آية الكرسى :

أولا : هذه الآية أفضل آى القرآن لأنها جمعت من أحكام الألوهية وصفات الإله ما لم تجمعه آية أخرى .

ثانيا : هذه الآية اشتملت على عشر جمل نوجز بيانها فيما يلى :

فقوله: (اللّه لا إله إلا هو) إخبار من اللّه بأنه المنفرد بالألوهية لجميع الخلق (الحى القيوم) أي الحى فى نفسه الذى لا يموت أبدا، القيم لغيره، (والقيوم) أي القائم بالأمر، فجميع المخلوقات مفتقرة إليه وهو غنى عنها، ولا قوام للموجودات بدون أمره كقوله تعالى : (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره)(٣).

وقوله : (لا تأخذه سنة ولا نوم) أي : لا تعتريه غفلة ، ولا ذهول عن خلقه، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت، شهيد على كل شىء، لا يغيب عنه شىء ، ولا تخفى عليه خافية (والسِّنة) النعاس، وهو ما يتقدم النوم من الفتور مع بقاء الشعور.

وقوله : (له ما فى السموات وما فى الأرض): أى : أن الجميع فى ملكه وتحت قهره وسلطانه.

وقوله (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه): بيان لعظمته وكبريائه عز وجل أنه لا يجرؤ أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه فى الشفاعة .

وقوله : (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) : دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها .

وقوله : (ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء) : معناه: لا يطلع أحد من علم اللّه على شىء إلا بما أعلمه اللّه – عز وجل – وأطلعه عليه .

---

(١) سورة الفرقان الآية : ٥٨ . (٢) سورة البقرة الآية : ٢٥٥ . (٣) سورة الروم الآية : ٢٥ .

وقوله : (وسع كرسيه السموات والأرض)

الكرسى : كما قال الضحاك عن ابن عباس : لو أن السموات السبع والأرضين السبع بسطن ثم وصلن بعضهن إلى بعض، ماكن فى سعة الكرسى إلا بمنزلة الحلقة فى المفازة[1] ، وهو غير العرش .

وقد جاء عن ابن عباس أنه قال : الكرسى، موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى [2].

والله سبحانه مستغن عن العرش والكرسى محيط بكل شىء وفوقه .

وقوله : (ولا يؤوده حفظهما) أى : لا يثقله حفظ السموات والأرض ومن فيها ومن بينها، بل ذلك سهل عليه يسير لديه .

وقوله : (وهو العلى العظيم) سبق بيان هذين الاسمين فى شرح أسماء الله الحسنى فليرجع إليه [3].

عاشرا ، وحادى عشر :

صفة السمع / وصفة البصر :

فالله سبحانه وتعالى يسمع كل شىء ، حتى إنه ليسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء، فى الليلة الظلماء، لا يشغله صوت عن صوت ، ولا يشوش عليه مشوش .

وكيفية ذلك لا يعلمها أحد إلا هو سبحانه وتعالى .

قال الله – تعالى – : (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير)[4].

وقال الله تعالى: لموسى وهارون –عليهما السلام– حينما أرسلهما إلى فرعون

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٠٩/١ ط. التراث .

(٢) أصول العقيدة الإسلامية للأستاذ: عبد المنعم صالح العلى العزى نقلا عن شرح الطحاوية ص ٨٩ ط. دار الوفاء .

(٣) هذه المعانى مستلة من تفسير ابن كثير ٣٠٤/١ – ٣١٠، والفتوحات الإلهية على تفسير الجلالين ٢٠٦/١، ط. عيسى الحلبى .

(٤) سورة المجادلة الآية : ١ .

(اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى، قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى، قال : لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى)[1].

ثاني عشر :

صفة الكلام :

قد أثبت الله لنفسه هذه الصفة فى قوله : (وكلم الله موسى تكليما)[2] وهو سبحانه يتكلم بكلام ولا نقول: إن كلامه ليس بحرف ولا صوت، إنما نقول: إنما هو متكلم بكلام سمعه موسى عليه السلام حقيقة لا مجازا، وكيفية ذلك لا يعلمها إلا الله .

وبذلك نثبت لله سبحانه ما أثبته لنفسه كما أثبته حقيقة، ونكل الكيفية إلى علمه فنقدسه سبحانه عن تشبيهه بالخلائق .

وقال سبحانه : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)[3].

وكلمات الله لا حصر لها، لا يستطيع أحد لها عدا، كذا قال :

(قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا)[4].

وقال : (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله)[5].

---

(١) سورة طه الآيات : ٤٣ : ٤٦ .

(٢) سورة النساء الآية : ١٦٤ .

(٣) سورة التوبة الآية : ٦ .

(٤) سورة الكهف الآية : ١٠٩ .

(٥) سورة لقمان الآية : ٢٧ .

أثر الإيمان بالله على هذا النحو

بما أن عقيدة الإسلام ليست عقيدة سلبية جامدة، وليست معرفة نظرية مجردة، وأنها عقيدة إيجابية دافعة، فإن لها ثمارا وآثارا فى حياة صاحبها يلمسها ويجنيها فى الدنيا – فيما يتعلق بصلته بالله، وفيما يتعلق بصلته بالحياة، وفيما يتعلق بمعاملته للناس، وفى الآخرة نعيم مقيم، ونوجز هذا فيما يلى :

١ – أن يكونَ المسلم علي يقين أن الله وحده له حق التشريع، وأن التعدى على هذا الحق من قبل أى مخلوق كان، إنما هو شركة مع الله سبحانه وتعالى، وادعاء لشيء لا يملكه إلا الله .

حيث أنه (الواحد – الحكم – وأنه لا إله إلا هو) .

٢ – مراقبة الله سبحانه وتعالى فى كل حين حيث أنه (عليم–سميع – بصير) مستشعرا أن الله يرانى، وأنه لا تخفى عليه خافية فِي الأرض ولا فى السماء .

٣ – شكر الله سبحانه وتعالى على نعمه التى لا تحصى فهو (الخالق – البارئ – الرازق) .

٤ – التوكل على الله وحده بركنيه (الاعتماد على الله – والثقة بالله تعالى) وذلك بمرافقة الأخذ بالأسباب، فالتوكل أن تأخذ بالأسباب ولا تعتمد عليها إنما تعتمد على مسببها سبحانه وتعالى .

٥ – حب الله سبحانه حبا لا يصل إليه حب شيء دونه، وإلا كان الإيمان ناقصا (ارجع إلى الآية رقم ٢٤ من سورة التوبة واقرأها وتأملها) .

٦ – الإخلاص لله سبحانه وتعالى ، لأنه مطلع على ما فى الصدور .

٧ – عدم الخوف من غير الله تعالى حيث أنه (النافع – الضار – الرازق – المحيى – المميت) وغيره لا يملك شيئا من ذلك ، بل غيره عاجز فقير مسكين .

٨ – أن الإيمان ينشيء فى النفس العزة، والكرامة، فلا يطأطيء رأسه أمام أحد من الخلق، ولا يتضرع إليه، ولا يتكفف له، ولا يخاف منه، وهذه الصفات لا توجد فى غير المؤمن بالله الذى علم أنه لا إله إلا الله ، وقرأ قوله تعالى : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)[(١)] ، (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم

---

(١) سورة المنافقون الآية : ٨ .

مؤمنين)[1].

٩ - وكما ينشىء الإيمان ، العزة ، والكرامة، والقناعة، وغنى النفس، فإنه في ذات الوقت ينشىء في الإنسان خلق التواضع، لأنه يؤمن أن الذى وهبه ما به من نعم هو الله، ويستطيع أن يسلبها منه في لحظة واحدة ، إنما يكون خفيض الجناح للناس، فلا يتكبر، ولا يتفاخر، ولا يتعاظم على أحد ، ومن أبرز معاني التواضع :

أن ينقاد للحق ويقبله ممن جاء به دون نظر إلى شخصه ، فيفتح الله له آفاقا من معرفة الحق، والعمل به ، وإلا صرفه الله عن ذلك، (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ...)[2].

١٠ - والإيمان كذلك يمنح المؤمن قوة عظيمة من العزم والإقدام ، والصبر والثبات حينما يضطلع بمعالى الأمور في الدنيا ابتغاء مرضاة الله، لأنه على يقين أن وراءه قوة ملك السموات والأرض، تؤيده وتأخذ بيده في كل مرحلة من مراحله ، فيكون رسوخه أعلى من رسوخ الجبل، فلا تكاد أى مصيبة من المصائب أن تثبطه عما يكون قد عقد من عزم .

١١ - الثبات على الحق وألا يخاف الإنسان في الله لومة لائم ، ولا يخشى جبروت متجبر، فانظر: كيف صنع الإيمان بسحرة فرعون لما آمنوا ؟!! إنهم كانوا في الصباح يحاربون الحق وأمسوا مؤمنين شهداء، حيث قالوا لفرعون لما وعدهم (اقض ما أنت قاض، إنما تقضى هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى)[3].

١٢ - وبإيجاز واختصار كل خلق حميد وتصرف رشيد ثمرة من ثمار الإيمان، وكل خلق سيء وتصرف أحمق إنما أثر من آثار الكفر، أو ضعف الإيمان بالله سبحانه وتعالي ، فاستعرض الأخلاق جميعا وقس نفسك عليها واعرف نفسك واستدرك التقصير وحقق أخلاق(لا إله إلا الله محمد رسول الله).

١٣ - وكذلك من ثمرات الإيمان سكينة النفس، وإصلاح البال، واطمئنان القلب والإحساس بالأمن ، هذه النعم التى رزقها الله المؤمن وإن كان فقيرا ،

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٣٩ . (٢) سورة الأعراف الآية: ١٤٦ . (٣) سورة طه الآية: ٧٢ ، ٧٣ .

وحرمها الكافر، وضعيف الإيمان وإن كان غنيا، لأن هذه النعم لا ينالها الإنسان من خارجه إنما تنبع من نفسه وداخله .

قال تعالى : (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم)(١).

وقال تعالى : (والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم)(٢).

وقال تعالى : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)(٣).

وقال تعالى : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)(٤).

١٤ - ومن ثمرات الإيمان الرضا .

فالمؤمن راض عن ربه ، راض عن نفسه، راض عن الكون والحياة، راض بما قدره الله عليه، راض بما قسم الله له من رزق(٥).

١٥ - إن وحد الله تعالى ، وعبده حق عبادته لا يجوز له أن يوالى من حاد الله ورسوله - يهودا أو نصارى أو كافرين - لأن الله نهى عن ذلك .

والموالاة : المحبة ، والنصرة .

قال تعالى : (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون)(٦). وسيأتى بيان هذا المعنى فى آخر الكتاب .

---

(١) سورة الفتح الآية : ٤ .

(٢) سورة محمد الآية :٢.

(٣) سورة الرعد الآية : ٢٨.

(٤) سورة الأنعام الآية : ٨٢ .

(٥) راجع فى هذه المعانى السابقة : مبادىء الإسلام لأبى الأعلى المودودى من ص٨٤ - ٩١ ، وكتاب الإيمان والحياة د/ يوسف القرضاوى كله، وتعريف عام بدين الإسلام للشيخ على الطنطاوى من ص ٨٦ - ١٠١ والعقائد الإسلامية للشيخ / سيد سابق من ص ٧٥ - ٨٠ .

(٦) سورة المجادلة الآية : ٢٢ .

أشياء منافية للتوحيد :

يتنافى مع الإيمان بالله وتوحيده أمور كثيرة وهى أنواع :

١ - بعضها تشتد مناقضته للتوحيد حتى تطرح الإنسان بعيدا عن مجال الإيمان والإسلام، لأنها لا يمكن أن تجتمع معه بحال من الأحوال .

٢ - وبعضها إذا حدثت مع اعتقاد فيها، وفى أثرها، كانت ملحقة بالأولى، فتخرج الإنسان عن حدود الإيمان .

وإذا حدثت بدون اعتقاد، كانت ذنوبا كبيرة يستوجب صاحبها العقاب إن لم تدركه مغفرة من الله ورحمة .

٣ - وهناك ذنوب ومعاصى منافية للإيمان لكن لا تخرج عن الإيمان كلية إنما تضعفه، إلا إذا استحلها الإنسان مع تحريمها بنصوص صريحة لا تحتمل غير التحريم ، وقد أجمع العلماء على تحريمها .

فليس كل مناف للإيمان والتوحيد مخرج عن الإسلام، أو فى درجة واحدة، ومن هنا ندرك سر تقسيم أمور الشرك إلى شرك أصغر، وإلى شرك أكبر؛ والشرك الأكبر إلى ما هو ظاهر، وإلى ما هو خفى .

وبالجملة: فقد عد العلماء الذنوب والمعاصى من جملة الكفر، أو الشرك، لكن (الكفر أو الشرك) الذى لا يخرج صاحبه عن دين الإسلام إلا ما جاء فيه نص صريح واضح يقتضى ذلك بشروطه .

ويجدر بيان ذلك بإيجاز شديد يقتضيه المقام :

أولا : الشرك بالله .

الشرك بالله معناه : أن يعطى الإنسان لغير الله صفة لا يستحقها إلا الله. سواء كان ذلك بالقول، أو بالفعل، أو بالاعتقاد .

والمشرك بالله تائه ضائع، يسير على غير هدى ، ويمشى على غير استقرار . قال الله تعالى : (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير، أو تهوى به الريح فى مكان سحيق)(١).

وهو بشركه يوجب على نفسه العقوبة في نار جهنم وحرمانه جنة ربه .

---

(١) سورة الحج الآية رقم : ٣١ .

(إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار، وما للظالمين من أنصار)[1].

فمقتضى التوحيد : ألا يعبد العبد إلا الله .

وأن يعبد الله عز وجل بما شرع .

فتوجه العبد بالعبادة لغير الله شرك صريح، سواء كان هذا الغير ملكا من الملائكة، أو خلقا من الجن، أو كان إنسانا من البشر، أو نجما من النجوم، أو كوكبا من الكواكب، أو جمادا ، أو حيوانا ، أو شجرا ، فكل من فعل شيئا من ذلك كان كافرا بالله عز وجل، ولا يصدق عليه اسم الإيمان بالله بحال .

قال الله تعالى : فى عباة الملائكة والجن : (ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون. قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون. فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون)[2].

وقال تعالى : فى عبادة البشر : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)[3].

وتسمى عبادة الرجال ومن صورها: الرضا بغير الله حاكما ومشرعا، أو السماح لبعض الناس أيا كانوا بالقيام بالتشريع وسن القوانين، فيحلون الحرام ويحرمون الحلال، ويضعون لهم الأنظمة، والمبادىء ، والأفكار .

وذلك لأن الذى له حق التشريع هو من خلق الخلق . لذا قال سبحانه :

(ألا له الخلق والأمر)[4]. فالذى له الخلق هو الذى له أن يأمر ويشرع أو يأذن لغيره أن يقوم بذلك، والله لم يأذن لأحد فى هذا الأمر أبدا (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)[5].

ويستبين ذلك بحديث عدى بن حاتم : قال ابن كثير :

روى الإمام أحمد، والترمذى ، وابن جرير من طرق عن عدى بن حاتم

---

(١) سورة المائدة الآية : ٧٢ .

(٢) سورة سبأ الآيات : ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .

(٣) سورة التوبة الآية : ٣١ .

(٤) سورة الأعراف الآية : ٥٤ .

(٥) سورة الشورى الآية : ٢١ .

رضى الله عنه أنه لما بلغته دعوة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فر إلى الشام، وكان قد تنصر فى الجاهلية، فأسرت أخته وجماعة من قومه، ثم منّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على أخته وأعطاها، فرجعت إلى أخيها فرغبته فى الإسلام وفى القدوم على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فتقدم عدى إلى المدينة، وكان رئيسا فى قومه طىء ، وأبوه حاتم الطائى المشهور بالكرم، فتحدث الناس بقدومه، فدخل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفى عنق عدى صليب من فضة، وهو يقرأ هذه الآية (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) قال : فقلت: إنهم لم يعبدوهم، فقال: بلى، إنهم حرموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم، وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : يا عدى ما تقول : أيضرك أن يقال : الله أكبر ؟ فهل تعلم شيئا أكبر من الله؟ ما يضرك أن يقال : لا إله إلا الله ، فهل تعلم إلها غير الله ؟ ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم، وشهد شهادة الحق، قال : فلقد رأيت وجهه استبشر ثم قال : (إن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون)(١).

وقال فى شأن عبدة الأفلاك من دون الله، حكاية عن الهدهد، ذلك الطائر الذى عرف الله وأنه المستحق للعبادة دون سواه: (فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين، إنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم ، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون. ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم)(٢).

وقال فى شأن عباد الأصنام: (واتل عليهم نبأ إبراهيم. إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون. قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين. قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون. قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون. قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون. أنتم وآباؤكم الأقدمون. فإنهم عدو لى إلا رب العالمين. الذى خلقنى فهو

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٤٨/٢ ، ٣٤٩ ط. مكتبة التراث الإسلامى . والحديث أخرجه أحمد والترمذى وابن جرير من طرق عن عدى ..

(٢) سورة النمل الآيات : ٢٢ : ٢٦ .

يهدين. والذى هو يطعمنى ويسقين. وإذا مرضت فهو يشفين. والذى يميتنى ثم يحيين. والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين)(١).

وقال فى شأن عباد الحيوان - كقوم موسى حينما اتخذوا العجل إلها من دون الله : (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين)(٢).

ومما ورد فى شأن تعظيم الأشجار وأنه من قبيل الشرك .

عن أبى واقد الليثى قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط ، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط ، كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الله أكبر ، إنها السنن، قلتم والذى نفسى بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى «اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون» لتركبن سنن من كان قبلكم»(٣).

ومن الأشياء المنافية للتوحيد :

السحر : وهو عزائم ورقى، وقد يؤثر فى القلوب والأبدان فيمرض، ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه .

أما حكم السحر : فقد قال بعض العلماء منهم أبو حنيفة، ومالك، وأحمد بن حنبل: إنه كفر .

وقال الشافعى : إن كان سحره من قبل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب وأنها تفعل ما يلتمس منها، فهذا كفر .

وإن كان سحره بأدوية وأشربة معينة فهذا لا يكفر ولكن يأثم إثما عظيما، إلا أن يعتقد أن السحر مباح، فهذا كفر .

ومما يدل على أنه كفر قوله تعالى : (وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر)(٤).

وقد ورد عن عمر أنه كتب : (أن اقتلوا كل ساحر وساحرة)(٥).

وقال تعالى : (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنـــون بالجبـت

---

(١) سورة الشعراء الآيات : ٧٠ : ٨٢ . (٢) سورة الأعراف الآية : ١٤٨.

(٣) أخرجه أحمد فى المسند جـ٥/٢١٨ وأخرجه الترمذى وصححه . (٤) سورة البقرة الآية : ١٠٢ .

(٥) جزء من حديث أخرجه أحمد فيجـ١/١٩٠وقال محققه إسناده صحيح جـ٣/١٢٣المحقق برقم١٦٥٧.

والطاغوت)(١).

قال عمر : الجبت : السحر ، والطاغوت : الشيطان .

ومن السحر ما يسمى «النشرة» :

وهى نوع من حل السحر عن المسحور، ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر، وقد جاء فى الحديث عن جابر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل عن النشرة فقال: «هى من عمل الشيطان»(٢).

وحكمه : إن كان حل السحر برقية وتعوذات وأدوية مباحة جاز ذلك وهو ما أفتى به الإمام سعيد بن المسيب حينما سئل: رجل به طب (سحر) أو يؤخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع، فلم ينه عنه .

ادعاء معرفة الغيب [التنجيم - الكهانة - العرافة]

الكاهن : هو الذى يأخذ عن الجن مسترق السمع، وكانوا قبل البعثة كثيرين، وأما بعد بعثة الرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإنهم قليل لأن الله حرس السماء بالشهب .

والعراف : هو الذى يدعى معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق، أو الضالة ونحو ذلك .

عن حفصة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : «من أتى عرافا فسأله عن شىء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» (٣).

وورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «من أتى عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - » (٤).

ومن الكهانة : التطير .

كان فى الجاهلية إذا أراد الإنسان فعل شىء نظر إلى الطير واتجاهها وبنى

---

(١) سورة النساء الآية : ٥١ .

(٢) رواه أحمد فى جـ٣ ص٢٩٤ وأبو داود فى كتاب الطب .

(٣) رواه مسلم فى كتاب السلام حديث : ٢١٢٥ ، وأخرجه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجة ومالك .

(٤) أخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط البخارى ومسلم، وأخرجه أبو داود وأحمد فى جـ٢ ص٤٢٩ .

(٥) متفق عليه . بخارى طب ، باب الجزام: حديث: ٥٧٠٧، ومسلم : سلام - حديث - ١٠٢، ١٠٩، ١١١ .

مقصده على توليتها، فكان التطير يصدهم عن مقاصدهم .

وقد نهى الشرع عن ذلك، فقد جاء فى الحديث عن أبى هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : «لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة ، ولا صفر»(١) .

والمعنى : «لا عدوى» أى: أن الأمراض التى تنتقل من مريض إلى مريض لا تنتقل بنفسها ولا تصيب الصحيح بنفسها إنما بقدر الله .

«والطيرة» : سبق بيانها .

«والهامة» : البومة تقع على بيت أحدهم، فيتشاءم منها .

«صفر» قيل : إنها حية تكون فى البطن تعدى .

وقيل : شهر من الشهور العربية كان العرب تقول : إنه شهر مشئوم .

سبب النهى عن ذلك : أنها منافية للتوكل على الله، وفيها تعلق القلب بأشياء لا تأثير لها خوفا وطمعًا، وكل ذلك لا أصل له، بل هى خرافات زينها الشيطان للناس لا ينبغى لمسلم أن يتعلق بشىء منها، ويجب على الإنسان إذا تطير أن يمضى فى ما يريد، فلا يرجع. فإن الطيرة شرك، وهى منافية للتوكل. والمعنى فيه توكل على الله وعدم الأخذ بأمور الشرك.

ورد عن ابن مسعود مرفوعا :

«الطيرة شرك، وما منا إلا .... ولكن يذهبه الله بالتوكل» (١).

ومعناه : وما منا إلا وقع فى قلبه شىء من ذلك، ولكن الله يذهبه بالتوكل عليه .

وورد كذلك عن عقبة بن عامر قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: أحسنها الفأل، ولا ترد مسلما، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك» (٢).

ومن ذلك (التنجيم) وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، والمنهى عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التى ستقع فى مستقبل الزمان كتغير الأسعار، ووقوع الحوادث التى يزعمون أنها تدرك

---

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب الطب، الترمذى فى كتاب السير وقال : حسن صحيح. وابن ماجه فى الطب، وأحمد فى جـ١ ص٣٨٩، ٤٣٨، ٤٤٠ . وقال : محققه : إسناده صحيح .

(٢) رواه أبو داود فى كتاب الطب ، وأحمد فى جـ٢ ص ٣٨٧، جـ ٣ ص ٣٤٩ ..

معرفتها بمسير الكواكب من مجاريها، واجتماعها، وافتراقها؛ يدعون أن لها تأثيراً فى السفليات؛ وهذا حكم على الغيب وتعاط لعلم قد استأثر الله به، فلا يعلم الغيب سواه[1].

التوجه بالعبادة أو النسك لغير الله .

فلا يجوز للإنسان أن يعبد غير الله أو يوجه عبادته وقصده بها لغير الله قال الله تعالى : (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له)[2].

وعن على - رضى الله عنه قال : «حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثا، لعن الله من غير منار الأرض»[3] .

ومنار الأرض : العلامات التى تفرق بين حق الإنسان وحق جاره .

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «دخل الجنة رجل فى ذباب، ودخل النار رجل فى ذباب» قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئا، فقالوا لأحدهما قرب، قال: ليس عندى شىء أقرب ، قالوا له : قرب ولو ذبابا، فقرب ذبابا، فخلوا سبيله فدخل النار، وقالوا للآخر قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل ، فضربوا عنقه فدخل الجنة»[4].

وفيه ألا يذبح الإنسان لغير الله، ولا يذبح بمكان يذبح فيه لغير الله، ذلك أن الذبح نسك وعبادة، فإذا توجه به الإنسان لغير الله كان شركا، أما عدم ذبحه بمكان يذبح فيه أهل الشرك أو كان يذبح فيه لغير الله فسد للذريعة، ولأنه فيه موافقة لهم، ولو فى الظاهر، ونحن مأمورون بمخالفتهم ظاهرا وباطنا، ولئلا تمر الأيام فينسى الناس ويزعمون أن المسلم كان يقرب هنا نسكا لغير الله .

فعن ثابت بن الضحاك - رضى الله عنه - قال : نذر رجل أن ينحر إبلا

---

(١) الجامع الفريد / شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١٢٧ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ١٦١ ، ١٦٢ . .

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب الأضاحى حديث رقم: ٤٤، وأحمد فى جـ١/٨٥٨/٩٥٤ .

(٤) رواه الإمام أحمد .

ببوانة فسأل النبى صلى الله عليه وسلم - فقال : هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ قالوا : لا، قال : فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ قالوا: لا ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أوف بنذرك ، فإنه لا وفاء لنذر فى معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم [1].

ومعنى «العيد» الاجتماع المعتاد من أهل الجاهلية، والعيد يطلق على زمان الاجتماع، وعلى مكان الاجتماع أيضا، ويطلق على العمل الذى يحدثه الناس فى زمان أو مكان ما بصورة معتادة .

ولا يجوز كذلك أن يستعيذ الإنسان بغير الله، إنما تكون الاستعاذة بالله وحده لا شريك له .

والاستعاذة معناها : الاستجارة بالله مما يخاف والالتجاء، والتحرز، والاعتصام بالله، فتقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فإنك تخاف من أن يوسوس لك، ويوقعك فى المعصية، ويلهيك عن ذكر الله، والاستعاذة تكون بالله أو بصفة من صفاته، فتقول : معوذا ولدك الصغير .

«أعيذك بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»[2] كما جاء فى الحديث .

وتقول : «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»[3] إن كنت مريضا، والمعوذتان آخر سورتين فى القرآن الكريم فى ترتيب المصحف .

ورد أنه «ما تعوذ المتعوذون بمثلهما»[4] :

وقد قال تعالى : فى شأن من استعانوا بغير الله :

«وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا »[5].

قال السدى : كان الرجل يخرج بأهله، فيأتى الأرض فينزلها، فيقول : أعوذ بسيد هذا الوادى من الجن أن أضر أنا فيه، أو مالى، أو ولدى، أو ما شيتى .

قال قتادة : فإذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجن الأذى عند ذلك [6].

---

(١) رواه أبو داود بإسناد صحيح ، وابن ماجه فى كتاب الكفارات الحديثان: ٢١٣٠ ، ٢١٣١ .

(٢) أخرجه البخارى - الكلم الطيب ص ٥١ . (٣) أخرجه مسلم - الكلم الطيب ص ٥٣ .

(٤) سورة الفلق من تفسير ابن كثير جـ٤ ص٥٧٢ والرواية عند النسائى عن عقبة بن عامر .

(٥) سورة الجن الآية : ٦. (٦) تفسير ابن كثير ٤٢٨/٤ ، ٤٢٩ .

الرقى والتمائم ونحوهما :

الرقى : تعويذات تذكر، أو تكتب لدفع البلاء .

حكمها : إذا كانت بقراءة القرآن أو بدعاء مأثور عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ، أو دعاء لا شرك فيه ، بكلام مفهوم فهو جائز .

وإن كانت بغير ذلك كانت غير جائزة ، وفيها ورد النهى وسيأتى .

كما يشترط أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها وإنما تؤثر بتقدير الله تعالى .

أمثلة من الرقى المأثورة :

قال ابن عباس رضى الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن، والحسين –رضى الله عنهما– «أعيذكما بكلمات الله التامات من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة» ويقول : «أن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق»(٢).

«اللهم رب الناس اذهب البأس، واشف أنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً»(٣).

«أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»(٤).

التمائم :

التمائم جمع تميمة وهى ما يعلق بأعناق الصبيان من خرزات وعظام لدفع العين أو غير ذلك من الأمور .

حكمها :

أنها ممنوعة شرعا فى أكثر أقوال العلماء، وذلك لتعلق القلب بغير الله فى دفع ضر أو جلب نفع . وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم أنه من الشرك قال :

---

(١) أخرجه البخارى – الكلم الطيب – ص ٥١ ، ٥٢ مطابع المختار الإسلامى .

(٢) متفق عليه – الكلم الطيب ٥٢ .

(٣) أخرجه مسلم – الكلم الطيب ص ٥٣ .

(٤) جزء من حديث طويل رواه أحمد فى مسنده جـ١ ص٣٨١ وقال محققه إسناده حسن، وأخرجه وأبو داود عن ابن مسعود وكذا ابن ماجه.

«إن الرقى والتمائم والتولة شرك»(١).

وقد رخص بعض السلف فيما إذا كان المعلق من القرآن منهم ابن مسعود رضي الله عنه .

والتولة :

هو شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته .

حكمه :

أنه ضرب من السحر وقد سبق إيراد النهي عن ذلك آنفا .

والقلائد :

ما يعلق في رقبة البعير من أوتار قديمة يزعمون أنها تعصم من العين، وكان أهل الجاهلية إذا أخلقوا الوتر أبدلوه بغيره وقلدوا به الدواب لدفع العين منها .

وقد أمر – صلى الله عليه وسلم – بقطع الأوتار التي علقت على الإبل لما كان أهل الجاهلية يعتقدون فيها .

عن أبي بشير الأنصاري–رضي الله عنه– أنه كان مع رسول الله–صلى الله عليه وسلم – في بعض أسفاره فأرسل رسولا:«لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر–أو قلادة إلا قطعت. فإن هذه الأوتار والقلائد لا ترد من أمر الله شيئا»(٢).

*** ومن الصور الشركية على نحو ما سبق :**

لبس الحلقة :

وذلك كمن يلبس حلقة أو خاتما ظنا منه أنه يقي من المرض، فإن ظن أنه يمنع من الصرع، أو يمنع من رؤية المنامات المزعجة، أو يقي من العين، أو غير ذلك، فإن هذا لو اعتقد صاحبه أنه بنفسه ينفع أو يضر، كان شركا أكبر يخرج الإنسان من حظيرة الإسلام والعياذ بالله .

ومجرد فعله كبيرة من الكبائر، لا يفلح فاعلها إن مات عليها دون توبة .

فعن عمران بن حصين – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم –

---

(١) رواه البخاري ومسلم (اللؤلؤ والمرجان رقم٣٧١).

(٢) متفق عليه : بخاري جهاد باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الإبل ، ومسلم : لباس، حديث : ١٠٥، وأخرجه أبو داود وأحمد ومالك في الموطا حديث : ٢٩ كتاب صفة النبي ﷺ .

رأى رجلا فى يده حلقة من صفر فقال: ما هذه ؟ قال: من الواهنة. فقال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا، فإنك إن مت وهى عليك ما أفلحت أبدا»[1].

ومعنى الواهنة : عرق يصيب منكب الإنسان وفى اليد كلها، فيرقى منها.

وقيل هو مرض يأخذ فى العضد يصيب الرجال دون النساء .

ومعنى «لا تزيدك إلا وهنا» أى أن المشرك الذى تعلق قلبه بغير الله يعامل بنقيض قصده، لأنه علق قلبه بما لا ينفعه ولا يضره .

وفى قوله فى نهاية الحديث «فإنك إن مت إلخ ... » ما يفيد أن مرتكب الشرك الأصغر لا يعذر بالجهالة . «والفلاح» هو الفوز، والظفر، والسعادة .

تعليق الودع :

وهو فى معنى تعليق التميمة والودع :

وقد ورد فى الحديث : «من تعلق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودَع الله له»[1]. ومعنى «فلا ودع الله له» : أى لا جعله فى دعة وسكون .

لبس الخيط :

فقد ورد عن حذيفة - رضى الله عنه - أنه رأى رجلا فى يده خطي من الحمى فقطعة وتلا قوله تعالى : (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)[2].

وفى هذا بيان : أن لبس الخيط من المرض نوع من الشرك بدليل تلاوة الآية وفيها: «إلا وهم مشركون» ومجرد التعليق شرك أصغر، أما إن صاحبه اعتقاد الضر والنفع فيها فهو الشرك الأكبر، الذى هو نهاية البداية فى الشرك الأصغر، لذا استدل بالآية التى هى فى الشرك الأكبر على الأصغر، عافانا الله من الشرك كله دقه وجله، ظاهره وخفيه . ويلحق بما ذكر كل ما فى معناه والله أعلم .

---

(١) رواه أحمد٤/٤٤٥، وابن ماجة رقم٣٥٣١ وإسناده حسن.

(٢) أخرجه الإمام أحمد عن عقبة بن عامر فى المسند جـ٤/١٥٤.

(٣) سورة يوسف الآية: ١٠٦.

الإيمان باليوم الآخر

أولا : أهمية الإيمان باليوم الآخر كركن من أركان الإيمان :

تظهر أهمية ذلك وعداده فى أركان الإيمان فى أكثر من موضع ، كمافى قوله تعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ...) (١) .

٢) أن فى الإيمان تحقيق العدل الإلهى ومجازاة المحسن على إحسانه والمسيء على إساء ته ، والانتصار من الظالم للمظلوم ، حتى الحيوانات .

ولنبين ذلك بمثال :

لو أن إنسانا ارتكب جريمة من الجرائم وتعدى على الناس ،فانتهك عرضا ، واغتصب مالا ، أوضرب إنسانا ، كل ذلك بعيدا عن القانون، وأفلت ولم يعاقب فى الدنيا العقاب الذى ينبغى أن يكون ، فإن العدل الإلهى يقتضى أن يكون لمثل هذا عقاب ، وألايفلت نهائيا فيستوى مع من كف يده وجوارحه عن كل هذه الجرائم (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون . فتعالى الله الملك الحق لاإله هو رب العرش الكريم) (٢) .

ليعلم الظالم أنه إن أفلت من عقاب الدنيا فلن يفلت من عقاب الآخرة .

٣) المعرفة بالإيمان باليوم الآخر عنصر هام فى جعل الإنسان له هدف يسعى إليه ، ويتخذ من الأسباب مايوصله إليه ويحقق له الغاية ، وبدون ذلك يبقى الإنسان لاهدف له فى الحياة ، ويفقد سموه الروحى ، ويعيش كماتعيش الأنعام ، فتكون المادة إلهه من دون الله ، ويلهيه الأمل ، ويظن أن الدنيا هى نهاية الأمر فلاحساب ولاعقاب ، وبذلك تفسد حياة الناس ، كماهى فاسدة عند من لايؤمن بيوم الحساب .

٤) ومن اهتمام الإسلام بهذا اليوم ذكره فى فاتحة القرآن ،التى يقرؤها المسلم فى صلاته كل يوم سبع عشرة مرة فى الفرائض ، ونحوا من مثلها فى النوافل الراتبة ، حتى لايغيب عنه استشعار هذا اليوم وجعله نصب عينيه دائما ، وقد كثرت الآيات والأحاديث عن هذا اليوم وذلك لاختلاف الناس فى تصورهم عن هذا اليوم ، ولايملك الإيمان الحق به غير المسلم ، لأنه أمر لايمكن أن يتصور الاعن طريق الوحى المنزل من عند الله - تعالى - كماسيأتى .

---

(١) سورة البقرة الآية (١٧٧)

(٢) سورة المؤمنون الآيتان : (١١٥ ، ١١٦) .

ثانيا : طرف من الآيات والأحاديث :

من الآيات ......

(١) قال الله تعالى : (ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين) . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بماأنزل إليك وماأنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) (١) .

(٢) وقال تعالى : (ولاتحسبن الله غافلا عمايعمل الظالمون . إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لايرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء) (٢) .

(٣) (ياأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وتري الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق . وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير ، وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور) (٣) .

(٤) (فلينظر الإنسان مم خلق . خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب . إنه على رجعه لقادر) (٤) .

ومن الأحاديث :

(١) قال رسول الله ﷺ - (يحشر الناس حفاة عراة غرلا ، قالت عائشة فقلت : الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال : الأمر أشد من أن يهمهم ذلك)(٥) .

(٢) وقال أيضا : (يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب في الأرض عرقهم سبعين ذراعا ، وإنه يلجمهم جتى يبلغ آذانهم)(٦) .

---

(١) سورة البقرة من الآية (٢ - ٥) (٢) سورة إبراهيم الآية (٤٢ ، ٤٣)

(٣) سورة الحج الآيات (٥ - ٧) (٤) سورة الطارق الآيات (٥ - ٨) .

(٥) هذا الحديث عن عائشة - وقد رواه البخاري ومسلم والنسائي ، وابن ماجه .

انظر : (الترغيب والترهيب ٤ / ١٩٣ دار التراث) .

(٦) هذا الحديث عن أبي هريرة وقد رواه البخاري ومسلم . انظر (السابق ٢ / ١٩٤) .

(٣) وقد ورد عن ابن عباس : أن العاص بن وائل أخذ عظما من البطحاء ففته بيده ، ثم قال لرسول الله ﷺ : أيحيى الله هذا بعدما أرى ؟ فقال رسول الله ﷺ " نعم يميتك الله ثم يحييك ، ثم يدخلك جهنم " فنزلت الآيات (أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم. قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون . أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم .إنما أمره إذا أرد شيئا أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون) [1] .

توضيح وبيان :

لقد أنكر فريق من الناس البعث بعد الموت وقالوا : (إن هى إلاحياتنا الدنيا ، ومانحن بمبعوثين) وقالوا : هذا أمر بعيد ، فلم نر من مات قد رجع إلينا منهم أحد ، بل يأكله التراب وتفنيه الأرض بعد الوفاة ؟

ولقد أبان القرآن خطأ هذا الزعم وسلك بذلك مسلكين هامين - من قبيل الحجج العقلية :

المسلك الأول :

بيان قدرة الله الظاهرة - وقد زاد ظهورها بتقدم علم الطب - فى خلق الإنسان وإمراره بهذه الأطوار فهى تدل على البعث من ناحية أن القادر على الإنشاء قادر على الإعادة .

المسلك الثانى :

تشبيه الإنسان بالنبات فى أطواره وحصاده وإعادته ، ولذلك قال القرآن : (والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا)[2] .

فأنت تأخذ البذرة (الحبة) وتضعها فى الأرض ، ثم تأخذ فى النمو التدريجى ، وكذلك الإنسان توضع نطفته فى رحم أمه ثم بعد ذلك يأخذ فى النمو التدريجى من نطفة إلى علقة .. إلخ .

ثم يخرج النبات من الأرض، ثم ينضج ويستمر فى نضجه حتى الحصاد .

---

(١) الحديث أخرجه ابن أبى حاتم كماقال ابن كثير فى تفسيره ٣ / ٥٨١ .
والآيات من سورة يس رقم (٧٧ - ٨٣) .

(٢) سورة نوح الآية (١٧ ، ١٨) .

وكذلك الإنسان بعد إخراجه من الرحم ، يستمر فى نضجه ونموه ثم يدركه الموت . ونرجع إلى النبات بعد حصاده يؤخذ إلى الأجران ، كأجران القمح ، وغيره - ليدرس ويفصل الحب عن القشر .

كذلك الإنسان بعد موته يحمل إلى أجران المقابر ليدرسه الدود هناك ويفصل أجزاء ه عن بعض .

بعد درس النبات :إذا أخذت هذا الحب أو بعضه ، فبذرته مرة أخرى ينبت .

فكذلك الإنسان لايستبعد أن يخرجه الله وينبته بعد درسه فى أجران المقابر .

وكيف يستبعد الإنسان ذلك ، ولم يستبعد قصة النبات ؟ والإنسان مثل النبات ! ويسير معه طورا طورا .

وهذان المسلكان جمعهما الله فى آية الحج (آية : ٥)، وإن أفردت كل واحدة فى مواضع فى القرآن .

وشيء آخر : أنه لادليل لمن قال : إننا لم نر إنسانا خرج وبعث بعد موته ؛ ذلك لأن عدم رؤيته ليست دليلا على عدم الوجود أو الوقوع ، لكن غاية ماهنالك أنه لايدرى ولايعرف ماذا يكون بعد الموت ، فمثلا لو قال : إننى لم أر طائرة قط ، لم يكن دليلا على عدم وجود الطائرة ، بل لو ادعى أن ذلك دليل لأحمقه الناس جميعا . فعقيدة الإيمان باليوم الآخر لاتتنافى مع مقتضى العقل أبدا ، ولاالعلم ، بل العقل والعلم يؤيدان ذلك . قال الأستاذ . أبو الأعلى المودودى :

جاء فى هذه العقيدة : أن الإنسان تسجل عليه أعماله الحسنة والسيئة ، وستعرض عليه فى كتاب يلقاه منشورا يوم القيامة، فهذا نجد اليوم مايثبته :

كان الناس يظنون فى الزمن الماضى أن الصوت الذى يخرج من أفواههنا يندمج فى الهواء ويضمحل فيه بعدمايحدث فيه شيء من التموج ، ولكن قد عرف أخيرا أن لكل صوت أثر يتركه فيماحوله من الأشياء ، ومن الممكن ضبطه وإحياؤه فيمابعد ، وعلى هذا المبدأ أوجد الإنسان الحاكى (الجراموفون) وفى هذا مايدل على أن كل حركة تصدر عنا فى هذه الدنيا تسجل فى أشياء تصدمها بوجه من الوجوه ، وإذا علمنا هذا فقد علمنا علم اليقين أن جميع أعمالنا فى هذه الدنيا مسجلة مدونة ويمكن إحياؤها وإحضارها مرة أخرى (١)

أسماء يوم القيامة :

تعددت أسماء هذا اليوم وذلك تبعا لتعدد مايحدث فيه من مشاهد ، فكل

---

(١) انظر كتاب : ألف باء الإسلام (مبادىء الإسلام) ص ١١٢ مكتبة التراث الإسلامى .

اسم يدل على مشهد من المشاهد ،أو هول من الأهوال ، أو معنى آخر متعلق بذلك اليوم .

فمن أسمائه :

(١) يوم الدين ، وذلك فى قوله تعالى: (مالك يوم الدين) [١] أى يوم الجزاء .

(٢) ويوم الحساب . قال تعالى : (إنى عذت بربى وربكم من كل متكبر لايؤمن بيوم الحساب) [٢] .

(٣) القارعة . قال تعالى : (القارعة ماالقارعة) [٣] أى التى تقرع الناس بأهوالها .

(٤) يوم التناد . قال تعالى : (وياقوم إنى أخاف عليكم يوم التناد . يوم تولون مدبرين مالكم من الله عاصم) [٤] أى يتنادى فيه أهل الجنة وأهل النار أو التنادّ بالتشديد يعنى يوم الهروب من ندّ البعير إذا هرب . ذلك أن الناس يهربون من الموقف فتحجزهم الملائكة أوتحجزهم البحار المضرمة بالنار .

(٥) يوم التلاق . قال تعالى : (لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لايخفى على الله منهم شىء) [٥] أى : يتلاقى فيه المؤمنون معا ، والكافرون معا .

(٦)الحاقة . قال تعالى : (الحاقة ماالحاقة) [٦] أى تظهر فيه حقائق الأمور .

(٧) الطامة . قال تعالى :(فإذا جاء ت الطامة الكبرى يوم يتذكر الإنسان ماسعى) [٧] ومعنى الطامة : الداهية العظيمة التى يغشى الناس هولها .

(٨) الواقعة . قال تعالى : (إذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة)[٨] أى : الثابتة الوقوع الآتية لاريب فيها ، فهى آتية لامحالة .

(٩) يوم الحسرة . قال تعالى (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون) [٩] والحسرة:الندامة على مافرط الإنسان فى حق الله .

(١٠)ومن أسمائه :يوم الفصل ، ويوم العرض، ويوم الصاخة ، ويوم الخلود ، ويوم الخروج ، ويوم التغابن ، ويوم الفتح ، ويوم تولون مدبرين ، ويوم الآزفة ، إلى غير ذلك من الأسماء[١٠] .

---

(١) سورة الفاتحة الآية (٤)

(٢) سورة غافر الآية (٢٧)

(٣) سورة القارعة الآية (١ ، ٢)

(٤) سورة غافر الآية (٣٢ ، ٣٣)

(٥) سورة غافر الآية (١٥ ، ١٦)

(٦) سورة الحاقة الآية (١ ، ٢)

(٧) سورة النازعات الآية (٣٤ ، ٣٥)

(٨) سورة الواقعة الآية (١ - ٣)

(٩) سورة مريم الآية (٣٩) .

(١٠) راجع : التذكرة للقرطبى صـ٢١٩ ومابعدها . ط . الريان .

مقدمات يوم القيامة

لقد أخفى الله سبحانه علم يوم القيامة، فلا يعلم متى تقوم إلاهو سبحانه وتعالى.

قال تعالى : (يسألونك عن الساعة أيان مرساها . فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها) [1] .

وقال تعالى : (يسألونك عن الساعة أيان مرساها . قل إنما علمها عند ربى لايجليها لوقتها إلاهو ثقلت فى السموات والأرض لاتأتيكم إلابغته يسألونك كأنك حفى عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لايعلمون) [2] .

وجعل النبى ﷺ - السؤال عنها من التكلف ومما لاينبنى عليه عمل ، حينما سأله رجل متى الساعة؟فبين أن هذا السؤال لايجدى ، ووجهه إلى المفيد بقوله : وماأعددت لها ؟ فقال له : ماأعددت لها كثير عمل ولاقليله إلاأنى أحب الله ورسوله ، فقال - ﷺ : " المرء مع من أحب " [3].

وفى حديث جبريل : حينما سأل النبى ﷺ - عن الساعة ، فقال له : ماالمسئول عنها بأعلم من السائل ، ثم سأله عن أماراتها فأجاب ، ثم قال : " إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم "[4] مايدل على أنه ليس من أمور الدين معرفة موعد قيام القيامة ، إذ لو كان من أمور الدين لبينها ، إنما الذى هو منها بيان أشراطها وهاك بيانها بإيجاز شديد :

علامات الساعة قسمان :

علامات صغرى : أى أنها ظهرت قبل القيامة بوقت طويل ، وتسبق علامات تكون قرب القيامة بوقت يسير ، وهذه العلامات ليست متعلقة بأحداث ضخمة كتغيرات كونية . والثانية : علامات كبرى .

العلامات الصغرى :

(١) بعثة الرسول ﷺ وختم الرسالات به ، بل بعثة عيسى عليه الصلاة والسلام قال تعالى :(ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وقالوا ءآلهتنا خير أم هو ماضربوه لك إلاجدلا بل هم قوم خصمون إن هو إلاعبد -

---

(١) سورة النازعات الآية (٤٢ - ٤٤) (٢) سورة الأعراف الآية (١٨٧)

(٣) هذا الحديث . أخرج البخارى نحوه ولفظه : أنت مع من أحببت فى كتاب فضائل الصحابة مناقب عمر حديث رقم :٣٦٨٨ وفى مواضع أخر من الصحيح وراجع مسند الدارمى رقاق (٧١) وأحمد جـ ٣/ ١٥٦، ١٦٦ .

(٤) هذا الحديث متفق عليه (اللؤلؤ والمرجان رقم (٥)).

أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل ، ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون وانه لعلم للساعة فلاتمترن بها واتبعون . (١) .

وفى الحديث : " بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه السبابه والوسطى " (٢) .

(٢) أن يصبح السادة والرؤساء من سفهاء الناس .

وبالجملة تنقلب الأمور والأحوال كماجاء فى الحديث : " إن بين يدى الساعة سنين خداعة ، يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ، ويخون فيها الأمين ويؤمن فيها الخائن " (٣)

وفى حديث :" وينطق فيها الرويبضة ، قالوا : وماالرويضة يارسول الله ، قال : السفيه ينطق فى أمر العامة " (٤) .

(٣) أن يتطاول رعاء الشاء العالة الفقراء فى البنيان . وقد ورد فى الحديث فى أمارات الساعة : " وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان " (٥) .

وقد ورد فى حديث واحد بيان أكثر من عشر علامات ، ولنقتصر على ذكر الحديث وعليك استنباطها : عن أبى هريرة رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال :

" لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة ، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله وحتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج وهو القتل ، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته ، وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه : لاإرب لى به ، وحتى يتطاول الناس فى البنيان ، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : ياليتنى مكانه ، وحتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس أجمعون ، فذلك حين : (لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا) (٦) ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلايتبايعان ،

---

(١) سورة الزخرف الآية (٥٧ - ٦١)

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الطلاق ، والترمذى فى الفتن ، ومسلم كتاب الجمعة حديث رقم : ٤٣ ، وابن ماجه مقدمة ، أحمد فى جـ٣/ ١٣١ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد فى المسند جـ٣/ ٢٢٠ ،وابن ماجه فى كتاب الفتن: باب شدة الزمان برقم ٤٠٣٦ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد والطبرانى .

(٥) متفق عليه (اللؤلؤ والمرجان رقم (٥)

(٦) سورة الأنعام الآية (١٥٨) .

ولايطويان ولتقومن الساعة ، وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلايطعمه ، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلايسقى فيه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلايطعمها "[١] .

بيان بعض المعانى فى الحديث : قواه (فئتان عظيمتان) المراد بهما على بن أبى طالب ومن معه ، ومعاوية ومن معه (يقبض العلم) وذلك بموت العلماء .

(تكثر الزلازل) المراد : أنها تكثر كثرة زائدة على الحد المعهود ، ولذا قال ابن حجر : " المراد بكثرتها :شمولها ودوامها " وذلك تمهيدا للزلزلة الكبرى .

(يتقارب الزمان) قد يكون المعنى : أن الأيام تمر سريعا ، كماورد فى حديث ، او قلة البركة فى الوقت أو أنه يحدث تقدم المسافات الطويلة فى وقت يسير . (وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتنى مكانه) أى يتمنى الموت ممايرى من الفساد خوفا على دينه ونفسه من الفتنة .

(لقحته) بكسر اللام وسكون القاف : الناقة ذات اللبن ، وفى ذلك بيان أن القيامة تكون بغتة . (يليط حوضه) : أى : يصلحه .

العلامات الكبرى :

١ - طلوع الشمس من المغرب :وقد سبق ذكره فى الحديث السابق .

٢ - خروج الدابة التى تكلم الناس ضحى .

قال تعالى : (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لايوقنون) [٢] .

٣ - المهدى :

أن يخرج رجل اسمه على اسم رسول الله ، واسم أبيه على اسم أبيه أيضا وهو من أهل بيت رسول الله ﷺ - يملأ الدنيا عدلا كماملئت جورا وظلما [٣] .

٤ - خروج المسيح الدجال :

ويفتن الناس ويدعى الألوهية ، وتظهر على يديه خوارق العادات ، وصفته: أنه أعور ، عينه العوراء طافية كأنها عنبة ، ويثبت الله المؤمنين فلايتبعونه ، وأنه يطوف البلاد كلها إلامكة والمدينة .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحة فى كتاب الفتن باب حدثنا الذى بعده باب ذكر الدجال برقم (٧١٢١) فتح البارى ١٣/٨٨– ٩٦ ط الريان .

(٢) سورة النمل الآية (   ) .

(٣) راجع سنن أبى داود كتاب المهدى من الحديث رقم : ٤٢٧٩ حتى الحديث رقم ٤٢٩٠ خاصة حديث رقم : ٤٢٨٢ .

٥- نزول سيدنا عيسى بن مريم :

حكماعدلا مقسطا، يحكم بالقرآن ، ويقتل المسيح الدجال ، ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ، ثم يمكث ماشاء الله أن يمكث ثم يموت ويصلى عليه ، ويدفن .

٦ - الريح التى تقبض أرواح المؤمنين جميعا :

فلايبقى إلاشرار الناس فتقوم عليهم الساعة (١)

الشفاعة

والشفاعة أنواع :

النوع الأول : الشفاعة العظمى الخاصة بالنبى ﷺ من بين سائر الأنبياء والمرسلين فى أن يأتى الرب سبحانه وتعالى لفصل القضاء .

النوع الثانى : شفاعة النبى ﷺ فى أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع لهم فيدخلون الجنه .

النوع الثالث : شفاعته فى أقوام قد أمر بهم إلى النار فلايدخلونها .

النوع الرابع : شفاعته فى رفع درجات من يدخل الجنة فوق ماكان يقتضيه ثواب أعمالهم .

النوع الخامس : الشفاعة فى أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب .

النوع السادس : الشفاعة فى تخفيف العذاب عمن يستحقه .

النوع السابع : شفاعته لجميع المؤمنين أن يؤذن لهم فى دخول الجنة .

النوع الثامن : شفاعته فى أهل الكبائر من أمته ، ممن دخل النار فيخرجون منها ، وهذه الشفاعة يشاركه فيها الملائكة ، والنبيون ، والمؤمنون أيضا . (٢)

وكل هذه الشفاعات بإذن الله : (من ذا الذى يشفع عنده إلابإذنه)(٣) .

---

(١) فى هذه العلامات تفاصيل ليس هذا موطن بيانها ، وماذكر فيه كفاية . انظر على سبيل المثال التذكرة صـ٧٠٩ . ط . الريان . وانظر النهاية فى الفتن والملاحم جـ١ صـ٤٠ وحتى صـ٢٤٢ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٩ - ١٧٦ بتصرف .

(٣) سورة البقرة آية (٢٥٥) .

بعض مشاهد يوم القيامة إجمالا

وصف الله سبحانه وتعالى يوم القيامة بأنه يوم عسير ، وبأنه يوم تشيب فيه الولدان ، وذلك لمافيه من الأحداث الجسام والمشاهد الرهيبة ، ذلك أنه يحدث فى هذا اليوم انقلاب رهيب فى الكون كله ، يشمل الأفلاك والأجرام السماوية ، ويتبدل النظام الذى ألفه الناس ، فالأرض تتبدل غير الأرض والسموات ، والنجوم تتساقط وتتناثر ، والشمس يذهب ضوؤها .

والجبال الراسية تكون فى ذلك اليوم لاوزن لها ، تكون كالصوف المنفوش وتسير فى الفضاء ، وينسفها الله نسفا ، وماكان الناس يعتزون به ويحرصون عليه يصير مهملاويحشر الله عز وجل الوحوش الشاردة ، فتأتى خاضعة مذعنة لأمر الله، والبحار الواسعة يختل قانونها ونظامها، فإذا ماؤها يصير نارا .

وتأتى البنت التى قتلها أبوها فى طفولتها خوفا من العار ، أو الفقر يسألها الله سبحانه عن سبب وأدها وقتلها ، ترى فمابال من وأدها ودفنها ؟! لاشك أن موقفه عسير . وتتطاير الصحف – صحف الأعمال – فى هذا اليوم وكل يأخذ كتابه ، فمن آخذ بيمينه ومن آخذ بشماله كماسيأتى . إلى غير ذلك من المشاهد التى ذكرها ربنا فى القرآن فى سورتى التكوير والانفطار ، ومن أراد أن ينظر إلى القيامة وكأنه يراها بعينه فليقرأ التكوير والانفطار كماورد فى الحديث . (١)

قال الله تعالى :-

(إذا الشمس كورت . وإذا النجوم انكدرت ، وإذا الجبال سيرت . وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت . وإذا البحار سجرت وإذا النفوس زوجت ، وإذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت. وإذا الصحف نشرت. وإذا السماء كشطت . وإذا الجحيم سعرت . وإذا الجنة أزلفت . علمت نفس ماأحضرت) .

وقال سبحانه :

(إذا السماء انفطرت ، وإذا الكواكب انتثرت . وإذا البحار فجرت . وإذا القبور بعثرت . علمت نفس ماقدمت وأخرت) .

وفى هذا اليوم تدنو الشمس من رؤوس العباد ويطول بهم الوقوف وتصهرهم حرارة الشمس ، يتمنى الناس أن ينصرفوا من الموقف ولو إلى الجحيم ، ويبلغ

---

(١) أخرج الإمام أحمد عن ابن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ (من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ : إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت ، وإذا السماء انشقت) وكذا رواه الترمذى عن (ابن كثير جـ٤ / ٤٧٤) .

العرق منهم مبلغا حسب أعمالهم ، فمنهم من عرقه إلى ركبته ، ومنهم من عرقه إلى سرته ، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما ، نجانا الله وإياكم من فزع يوم القيامة .

والمشاهد كثيرة عليك بكتاب الله تعرف الكثير منها .

أحوال الناس يوم القيامة ، وشدة الموقف : لاشك أن أحوال الناس يوم القيامة متفاوتة كل على قدر عمله ، ولأذكر لك أخي طرفا من ذلك .

قال تعالى : (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) [١] .

وقال تعالى : (وجوه يومئذ مسفرة . ضاحكة مستبشرة . ووجوه يومئذ عليها غبرة . ترهقها قترة . أولئك هم الكفرة الفجرة) [٢] .

وأقوام يأخذون كتابهم بأيمانهم وأقوام يأخذون كتابهم بشمالهم من وراء ظهورهم ، وأقوام يحاسبون حسابا يسيرا بينهم وبين ربهم سرا ، وآخرون يحاسبون حسابا عسيرا علانية . وأقوام في ظل عرش الرحمن يوم لاظل إلاظله ، وأقوام تصهرهم الشمس ويبلغ العرق منهم مبلغا عظيما كمابينت .

وأقوام يشربون من حوض رسول الله ﷺ شربة لاظمأ بعدها .

وأقوام يمنعون ويحرمون ويذادون عن الحوض بسبب أنهم بدلوا وغيروا فى دين الله سبحانه وتعالى .

وأقوام يحشرون مشاة ، وأقوام يحشرون إلى الله وهم راكبون ، ولايظلم ربك أحدا ، والجزاء من جنس العمل . والأحوال كثيرة جدا ومتفاوتة جدا ، ولأدعك الآن تقرأ كتاب الله وتنظر فى أخبار رسول الله ﷺ حتى تعرف الكثير منها .

نجانا الله وإياك من فزع يوم القيامة ومن خزى يوم القيامة .

تطاير الصحف :

الصحف هى ماسجل فيه الملائكة أعمال الناس فى الدنيا ، لايتركون صغيرة ولاكبيرة إلاأثبتوه فيها ، قال تعالى : (مايلفظ من قول إلالديه رقيب عتيد)[٣] فإذا تاب العبد من ذنوبه توبة نصوحا محيت عنه ، وإلابقيت كماهى مدونة ، حتى يقوم الناس لرب العالمين ، وتنشر هذه الصحف ويعلن ماكان فيها ، ويلقى كل إنسان كتابه منشورا يقال له:(اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) [٤]

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٠٦) .

(٢) سورة عبس الآية (٣٨ - ٤٢).

(٣) سورة ق الآية (١٨) .

(٤) سورة الإسراء الآية (١٤) .

فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته ، أخذ كتابه بيمينه ، فيفرح ويرى الناس كتابه ويقرىء الناس مافيه من الحسنات ،ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته ، فإنه ، يتمنى أن لو كان الموت نهاية ولم يأخذ كتابه ، قال الحق سبحانه وتعالى " فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه . إنى ظننت أنى ملاق حسابيه . فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية . كلوا واشربوا هنيئا بماأسلفتم فى الأيام الخالية. وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابية . ولم أدر ماحسابيه . ياليتها كانت القاضية . ماأغنى عنى ماليه . هلك عنى سلطانية "[1]

الحوض :

وهو حوض عظيم ، ومورد كريم يمد من شراب الجنة ، من نهر الكوثر ، الذى هو أشد بياضا من اللبن ، وأبرد من الثلج ، وأحلى من العسل ، وأطيب ريحا من المسك ، وهو فى غاية الاتساع ، عرضه وطوله سواء ، كل زاوية من زواياه ، مسيرة شهر، وقد ورد فى الأحاديث أن لكل نبى حوضا ، وأن حوض نبينا ﷺ أكبرها وأحلاها وأكثرها واردا ، جعلنا الله منهم بفضله وكرمه .[2]

وقد ورد فى ذكر الحوض أحاديث كثيرة رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابيا [3]

منها : مارواه البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " إن قدر حوضى كمابين أيلة إلى صنعاء من اليمن ، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء " .

وقد جاء كذلك أنه يمنع عنه ويبعد من لم يسر على هدى السنة وابتدع فى دين الله ، وأحدث مالم يأذن به الله ورسوله .

وقد اختلف فى الحوض والميزان أيهما يكون قبل الآخر ،والصحيح أن الحوض قبل ، فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم ، فيقدم قبل الميزان والصراط ، والله أعلم .[4]

---

(١) سورة الحاقة الآية (١٩ - ٢٩) .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية للإمام أبى العز الأذرعى الحنفى ص ١٦٨ ط دار التراث .

(٣) ذكرها الإمام ابن كثير فى كتابه : النهاية فى الفتن والملاحم .

(٤) التذكرة للامام القرطبى ١ / ٣٤٣ ط دار الجيل بيروت لبنان .

الحساب :

ينبغى أن نعلم أن الله حينما كلف الإنسان أعلمه أنه مايلفظ من قول إلاويسجل عليه ، وكذا مايصدر منه من حركة ، وكذا ستشهد عليه جوارحه ، ومواضع الأعمال كلها شاهدة .

وكل هذا مقتضى العدل الإلهى ، أن المجرم لايستوى بالمؤمن ، والطائع لايستوى بالعاصى ، والمسلمين لايستوون بالكافرين .

لذا قال الله تعالى : (أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكون) (١)

وقال : (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بماكانوا يعملون . يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين) (٢) .

وقال : (وأخرجت الأرض أثقالها . وقال الإنسان مالها . يومئذ تحدث أخبارها . بأن ربك أوحى لها) (٣) .

وقال : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلاتظلم نفس شيئا، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) (٤) .

فالمؤمنون يسترهم ويلقى عليهم ستره ويحاسبهم حسابا يسيرا يذكرهم بأعمالهم ، فلاينكرون منها شيئا ، فيقول لهم سترتها عليكم فى الدنيا وأنا أسترها عليكم اليوم ، ادخلوا الجنة .

وأما غيرهم فيحاسبهم ربهم حسابا عسيراً ويناقشهم ، ويلزمهم الحجة، ولايكتمون الله حديثا، وتنطق جوارحهم ، وتشهد الأرض عليهم ، ثم يعفو عن من يشاء ويعذب من يشاء وهو ولى الأمر (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) (٥).

الصراط :

ورد أن الصراط جسر ممدود على ظهر جهنم يعبر عليه جميع الخلائق ، وهو أدق من الشعرة ، وأحد من السيف، يتسع لكل إنسان على قدر عمله ، والناس متفاوتون فى العبور عليه ، منهم من يمرعليه كالبرق ، ومنهم من يمر عليه كالريح المرسلة ، ومنهم يمر كالجواد الضامر ، ومنهم من يسعى سعيا ، ومنهم من يمشى مشيا ، ومنهم من يحبو حبوا ، ومنهم من يقع فيتعلق بالصراط حتى ينجيه الله ، فيعبر ومنهم من يكرس فى النار .

---

(١) سورة القلم الآية (٣٥ ، ٣٦) .
(٢) سورة النور الآية (٢٤، ٢٥)
(٣) سورة الزلزلة الآية (٢، ٥)
(٤) سورة الأنبياء الآية (٤٧) .
(٥) سورة غافر الآية (١٦) .

والناس على الصراط متفاوتون ، يفترق المنافقون عن المؤمنين ، ويتخلفون عنهم ، ويسبقهم المؤمنون ، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم ، حيث يسعى المؤمنون بماأعطاهم الله من نورعلى الصراط ، كل نوره على قدر عمله .

قال تعالى : (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم . يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل أرجعوا وراء كم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) (١) .

الميزان :

والإيمان بالميزان واجب ، فإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال ، لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة ، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ، ليكون الجزاء بحسبها .

وهذا الميزان له كفتان حسيتان مشاهدتان ، وأن العامل يوزن مع عمله .

قال - ﷺ - : " إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لايزن عند الله جناح بعوضه ، قال : اقرأوا إن شئتم (فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا) (٢)

وورد فى حديث أن ساقى ابن مسعود - رضى الله عنه - أثقل فى الميزان من جبل أحد(٣) ، وقد كانتا دقيقتين .

وجاء فى الحديث :" الطهور شطر الإيمان ، و الحمد لله تملأ الميزان " (٤) .

وفى الحديث : " كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان فى الميزان ، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم " (٥) .

ولايستغرب وزن الأعمال ، فإن الله يحولها أجساداً ، ثم يزنها ، والله على كل شيء قدير .

---

(١) سورة الحديد الآية (١٢ ، ١٣) .

(٢) رواه البخارى عن أبى هريرة فى كتاب التفسير باب (٦) آخر الكهف برقم : ٤٧٢٩ .

(٣) أخرجه أحمد فى المسند جـ١ / ١١٤ وقال محققه إسناده صحيح جـ٢ / ١٨٠ برقم ٩٢٠ وأخرجه مالك فى الموطأ حديث : ٣٥٥ .

(٤) أخرجه الدارمى وضوء : ٢ ، أحمد جـ٥ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ .

(٥) أخرجه البخارى وهو آخر أحاديثه ورقمه : ٧٥٣٦ .

الجنة والنار :

ذلك هو المصير النهائي للناس ، منهم من يصير إلى الجنة خالدا فيها أبدا ، ومنهم من يصير إلى النار فأما الكافر فإنه يكون فيها خالدا أبدا ، وأما عصاة المؤمنين ،فإنهم يمكثون فيها ماشاء الله ثم يخرجون إلى الجنة ،فالايمان بالجنة والنار واجب ، لأنهما من المعلوم من دين الله بالضرورة ، وهما موجودان الآن .

وللجنة : أنهار ، ومساكن ، وولدان مخلدون يخدمون أهلها ، وحور عين، أزواج للمؤمنين ، وأشجار ، وفيها طعام وشراب ، وملبس ، ونعيم دائم مقيم ، ولايمكن لبشر أن يتصوره في الدنيا ، لأن فيها مالاعين رأت ، ولاأذن سمعت ، ولاخطر على قلب بشر كما أخبر بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ .

والجنة لايسمع فيها اللغو ولا التأثيم ، وأهلها إخوان متحابون قد نزع الله من قلوبهم الغل .

وأعلى نعيم الجنة رؤية المؤمنين للحق سبحانه وتعالى ، حيث يتجلى لهم حتى ينظروا إليه فماأعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى وجه الله الكريم .

. والنار فيها : أودية ، وجبال ، وطعام ، وشراب ، ولباس ، لكن شتان مابين الأودية التي يسيل فيها صديد أهل النار ، والأنهار في الجنه من ماء غير آسن ، ومن لبن لم يتغير طعمه ، ومن خمر غير مسكرة ، إنما لذة للشاربين ، ومن عسل مصفى ، لاتشوبه شائبة ، وشتان مابين جبال من نار ، وجبال في الجنة من نور ، ومن مسك وغير ذلك ، وشتان مابين طعام أهل النار من الغسلين والزقوم ، ومابين طعام المؤمنين من كل فاكهة ، ومن الطيور .

وشتان مابين شراب أهل النار من الصديد ، والماء الحميم الذي يقطع الأمعاء ، ويشوي الوجوه ، ومابين الأواني المختمه بمافيها من الشراب الطهور ، من السلسبيل ، والكافور ، والزنجبيل .

شتان شتان ، اللهم اجعلنا من أهل الجنة ، ونعوذ بك من عذاب النار .

بعض الآيات والأحاديث في هذا المعني :

قال تعالى : (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم ، كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم) [1] .

(١) سورة محمد الآية (١٥) .

وقال تعالى :

(والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وماألتناهم من عملهم من شيء كل امرىء بماكسب رهين ، وأمددناهم بفاكهة ولحم ممايشتهون يتنازعون فيها كأسا لالغو فيها ولاتأثيم . ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون . وأقبل بعضهم على بعض يتساء لون . قالوا إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين . فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ، إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم " (١) .

وقال تعالى:

[والسابقون السابقون . أولئك المقربون . فى جنات النعيم ثلة من الأولين . وقليل من الآخرين . على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين . يطوف عليهم ولدان مخلدون . بأكواب وأباريق وكأس من معين،لايصدعون عنها ولاينزفون . وفاكهة ممايتخيرون . ولحم طير ممايشتهون . وحورعين . كأمثال اللؤلؤ المكنون . جزاء بماكانوا يعملون ،لايسمعون فيها لغوا ولاتأثيما . إلاقيلا سلاما سلاما) (٢) ثم قال فى شأن من هم أقل منزلة من هؤلاء من أهل الجنة أيضا :

(وأصحاب اليمين . ماأصحاب اليمين . فى سدر مخضود ، وطلح منضود ، وظل ممدود . وماء مسكوب . وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولاممنوعة ، وفرش مرفوعة .إنا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا . عربا أترابا ، لأصحاب اليمين . ثلة من الأولين ، وثلة من الآخرين) (٣) .

وقد جاء أن رسول الله ﷺ – قال : (إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا ، للمؤمن فيها أهلون ، يطوف عليهم المؤمن فلايرى بعضهم بعضا) (٤)

وعن أبى سعيد ، الخدرى – رضى الله عنه – عن النبى – ﷺ– قال : إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة سنة مايقطعها (٥) .

---

(١) سورة الطور الآية (٢١ – ٢٨)

(٢) سورة الواقعة الآية (١٠ – ٢٦) .

(٣) سورة الواقعة الآية (٢٧ – ٤٠) .

(٤) الحديث متفق عليه واللفظ لمسلم وقد روى عن ابى موسى الأشعرى انظر : رياض الصالحين ص ٦٥٦ ، ٦٥٧ ط . الريا ن .

(٥) متفق عليه (المرجع السابق ص ٦٥٧)

وعن أبى سعيد وأبى هريرة – رضى الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال :
(إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادى مناد : إن لكم أن تحيوا فلاتموتوا أبدا ، وإن لكم أن تصحوا فلاتسقموا أبدا ، وإن لكم أن تشبوا فلاتهرموا أبدا ، وإن لكم أن تنعموا فلاتبأسوا أبدا " [1] .

وقال تعالى فى شأن النار وأحوال أهلها :

(هذان خصمان اختصموا فى ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به مافى بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد . كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق) [2] .

وقال تعالى : (وأصحاب الشمال ماأصحاب الشمال . فى سموم وحميم وظل من يحموم ، لابارد ولاكريم ، إنهم كانوا قبل ذلك مترفين . وكانوا يصرون على الحنث العظيم ، وكانوا يقولون أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم ، ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم ، فمالئون منها البطون . فشاربون عليه من الحميم . فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين) [3] .

---

(١) الحديث رواه مسلم برقم (٢٨٣٧) .
(٢) سورة الحج الآية (١٩ – ٢٢) .
(٣) سورة الواقعة الآية (٤١ – ٥٦) .

الإيمان بالملائكة

من هم الملائكة :

هم كائنات نورانية لايأكلون ، ولايشربون ، ولايتزوجون ، خلقوا للعبادة يسبحون الليل والنهار لايفترون ، لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون ، لايوصفون بذكورة ولاأنوثة ، فمن وصفهم بأنوثة فقد كفر ، ومن وصفهم بذكورة فقد فسق .

بعض خواص الملائكة :

١ – أنهم خلقوا من نور بخلاف الجن ، فقد خلقوا من نار ، وبخلاف الإنس الذين خلقوا من طين .

قال – ﷺ – : " خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مماوصف لكم " (١) .

٢ – أن مسكنهم السماء وإنما ينزلون بأمر الله سبحانه وتعالى .

٣ – أنهم فقط الذين وكل الله منهم من ينزل بالوحى على الرسل .

٤ – أنهم قادرون على التشكل ، ولايظهرون إلافى صورة حسنة، بخلاف الجن فإنهم يتشكلون فى صور مختلفة منها الحسن وغير الحسن ، قال تعالى – فى شأن إرسال سيدنا جبريل إلى السيدة مريم – : (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) (٢) .

٥ – أن حياتهم طاعة مطلقة لاعصيان فيها كماقدمنا .

قال تعالى :(لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون) (٣) .

وقال : (بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولايشفعون إلالمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون)(٤) .

أهمية الإيمان بالملائكة :

الإيمان بالملائكة واجب ، وهو ركن من أركان الإيمان ، لايكون الإنسان مؤمنا إلا إذا آمن بوجود الملائكة ، ولم يتعد فى إيمانه بوجودهم ، كمافعل المشركون ، أما من آمن بوجودهم على حد ماذكر الله لنا وذكر لنا رسول الله ﷺ فهو المؤمن فهم غيب بالنسبة لنا ، لايحق لنا أن نتجاوز ماأخبرنا به فى

---

(١) رواه مسلم وأحمد رياض الصالحين رقم (١٨٤٦) ص ٦٣٨ ط الريان (٢) سورة مريم الآية (١٧)
(٣) سورة التحريم الاية (٦) . (٤) سورة الأنبياء الآية (٢٦ – ٢٨) .

شأنهم ، لأنه لاطريق لذلك إلا الوحى وكان الإيمان بهم بهذه المثابة من دين الله لماياتى :

١ - أنهم لهم علاقة قوية بنا تسبق وجودنا وترافقه أثناء وجودنا وبعد وفاتنا ، بل ويوم القيامة ، وبعد أن يصير أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار ، خلق لهم بالإنسان هذا الارتباط ، فلابد من الإيمان بوجوده ، بل وارتباطهم الأكبر يكمن فى أن الذى نزل بالوحى على الأنبياء منهم ، بمعنى أن التكذيب بوجودهم تكذيب بالوحى ، ويصدق النبى ﷺ وإليك بيان ذلك :

أ - أن من ينفخ روح الانسان بأمر الله من الملائكة :

وفى الحديث : " إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقى أوسعيد " (١)

ب - أن منهم من ينزل بالوحى كجبريل عليه السلام :

قال تعالى :(وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين) (٢) فالإيمان بهم ضرورى لازم ، لأن التكذيب بوجودهم تكذيب بالوحى ويصدق النبى - ﷺ .

جـ - أنهم يشاركون بنى الإنسان فى العبودية لله تعالى ، من ركوع وسجود ، وذكر ، وهم يشاركون المصلين فى التأمين ، ويحضرون صلاة الفجر والعصر من كل يوم .

قال تعالى :(الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) (٣) .

وفى الحديث : " إذا قال الإمام " غير المغضوب عليهم ولاالضالين " فقولوا آمين ، فإن الملائكة يقولون آمين ، وإن الإمام يقول : آمين ، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه (٤)" .

وفى الحديث : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى

---

(١) هذا الحديث متفق عليه (الأربعين النووية رقم : ٤) (٢) سورة الشعراء الآية (١٩٢ - ١٩٥) .

(٣) سورة غافر الآية رقم (٧) .

(٤) متفق عليه بخارى أذان ، ودعوات ، ومسلم صلاة حديث ٧٢٠ وأخرجه مالك فى الموطأ : نداء حديث ٤٤ وأحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه .

صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم . كيف تركتم عبادى ، فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون » (١) .

د - أنهم يصلون على المؤمنين وخاصة أهل العلم منهم .

قال تعالى : (هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما) (٢) "

وفى الحديث : « إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض ليصلون على معلم الناس الخير » (٣) " .

هـ - أنهم يبشرون المؤمنين بثواب العمل الصالح فى الدنيا والآخرة .

قال تعالى:(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لاتخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدعون نزلا من غفور رحيم) (٤) .

و - أنهم يحفظون الإنسان ويحفظون عليه عمله بأمر الله .

قال تعالى : (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظون من أمر الله) (٥) .

قال تعالى : (وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون) (٦).

ز - أنهم يقومون بتوجيه الإنسان إلى عمل الخير ، وإبعاده عن الشر .

وفى الحديث : " إن للملك لمة بقلب ابن آدم وللشيطان لمة ، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير ، وتصديق بالحق ، فمن وجد من ذلك شيئا فليعلم أنه من الله ، وليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ، ثم قرأ : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) (٧) .

---

(١) متفق عليه . (٢) سورة الأحزاب الآية رقم (٤٣) .

(٣) رواه الترمذى فى كتاب العلم حديث رقم : ٢٨٢٦ وقال حديث حسن غريب صحيح . أخرجه البخارى فى كتاب المواقيت والتوحيد ومسلم فى كتاب المساجد حديث ٢١ ، والموطأ والنسائى وأحمد .

(٤) سورة فصلت الآية (٣٠ ، ٣١) .

(٥) سورة الرعد الآية رقم (١١) . (٦) سورة الإنفطار الاية (١٠ ، ١١) .

(٧) سورة البقرة الآية رقم (٢٦٨) .

وللملائكة أعمال أخرى فى الكون بأمر الله سبحانه وتعالى، دل على ذلك القرآن والسنة ، ففيهم الموكلون بنعيم المؤمنين ، والموكلون بتعذيب العصاة والكافرين إلخ ....

أثر الإيمان بالملائكة فى حياة الإنسان :

١ - مماسبق يتضح أن الإيمان بالملائكة على النحو الذى بيناه يجعل الإنسان بعيدا عن الذنوب والمعاصى ، فإن الإنسان إذا شعر أنهم معه لايفارقونه ، ومن ناحية أخرى مطيعون لله ، فإنه ينبغى ألا يؤذى عباد الله الأطهار ، وينبغى كذلك أن يشاركهم الطاعة لله ، وفى الحديث : " إن معكم من لايفارقونكم إلاعند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم وأكرموهم " .

٢ - أن الاتصال بالملائكة سمو للروح وتحقيق للحكمة العليا التى خلق الله الإنسان من أجلها ، لذا كان الإيمان بالملائكة من البر (ولكن البر من أمن بالله واليوم الآخر والملائكة ....) (١) .

٣ - أن الإيمان بهم من الإيمان بالغيب ، وفيه تصديق الإنسان بأخبار ربه ، وأخبار رسوله ، وتسليم بماجاء عنهم ، وأنه هو الحق المبين ، وإن لم نره ، فهو أوثق ممانراه بأعيننا ، فيورث الإنسان درجة عالية من اليقين بالله تعالى .

٤ - أن يعتاد الانسان محبة الصالحين ، ولو لم يكونوا من بنى الإنسان، وفى هذا أثر طيب فى زيادة الإيمان و محبة الله تعالى ، وفى عكسه عداوة لله ، رب العالمين .
(قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لمابين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ، من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين) (٢) .

٥ - ازدياد الشعور بعظمة الله واستشعار رحمته إذ وكل الملائكة بالدعاء للمؤمنين ، والاستغفار لهم ، والإقدام والشجاعة فى الجهاد حين يستشعر أنهم يؤيدون المجاهدين ، ويدفعون المؤمن للعمل للجنة ليكون ممن يسلمون عليه ، والبعد عن أسباب دخول النار ، لئلا يكون ممن يوبخونه (٣) .

٦ - العلم بأنهم من عباد الله لايملكون لأنفسهم ضرا ولانفعا ، ولالغيرهم إلابإذن الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى - : (وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا إلامن بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) (٤) .

(١) سورة البقرة الآية رقم (١٧٧) .   (٢) سورة البقرة الآية رقم (٩٧ ، ٩٨) .

(٣) انظر : تعريف عام بدين الإسلام للشيخ على الطنطاوى ص ١٥٤.

(٤) سورة النجم الآية رقم (٢٦) .

الإيمان بالكتب

المراد بالكتب :ماأنزل الله سبحانه وتعالى على رسله من وحى لهداية الناس ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، فالكتب المنزلة فيها التعاليم الإلهية للناس من أوامر ، ونواه ، وأخبار .

والكتب المنزلة التى نعرفها من خلال الإخبار القرآنى : التوراة ، والإنجيل ، وصحف إبراهيم، وموسى ، والزبور ، والإيمان بالكتب المنزلة كلها إجمالا من أركان الإيمان لايكون الإنسان مؤمنا إلابالإيمان بها كلها، وتفصيلا بالكتب المذكورة فى القرآن أو بالسنة الصحيحة .

لماذا كان الإيمان بالكتب السماوية كلها من أركان الإيمان ؟

أولا : إن كل الأنبياء بعثوا بالتوحيد الخالص (وماأرسلنا من قبلك من رسول إلانوحى إليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون)[1] ، (إن الدين عند الله الإسلام) [2] فالرسالات موضوعها واحد ، والعقيدة حقيقة لاتختلف باختلاف الرسالات ، والأخلاق كذلك، بل والعبادات فى أصولها ، ومن هنا فالرسالة اللاحقة امتداد للتى تسبقها ، والقرآن امتداد لماسبقه من الرسالات ، ومصدق له ومهيمن عليه ، فلابد من الإيمان بجميعها ، إذ لاتنفصل واحدة عن الأخرى فى حقيقتها .

قال تعالى : (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بمااستحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) [3] .

قال تعالى : (وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لمابين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لمابين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) [4] . وقال تعالى: (وآتينا داوود زبورا) [5].

وقال تعالى : (أم لم ينبأ بما فى صحف موسى . وإبراهيم الذى وفى . ألاتزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للإنسان إلاماسعى. وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى ، وأن إلى ربك المنتهى . وأنه هو أضحك وأبكى ، وأنه

(١) سورة الأنبياء الآية رقم (١٩)

(٢) سورة آل عمران الآية رقم (٢٥) .

(٣) سورة المائدة الآية رقم (٤٤)

(٤) سورة المائدة الآية رقم (٤٦) .

(٥) سورة النساء الآية رقم (١٦٣ .

هو أمات وأحيا وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى . وأن عليه النشأة الأخرى، وأنه هو أغنى وأقنى وأنه هو رب الشعرى . وأنه أهلك عادا الأولى . وثمود فماأبقى . وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى)[١] .

وقال تعالى :(إن هذا لفى الصحف الأولى . صحف إبراهيم وموسى) [٢] .

وقال تعالى : (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) [٣] .

تنبيه : الإيمان بالكتب السابقة يعني: التى أنزلها الله على الأنبياء لا التى هى موجودة الآن بتحريفها ، وقد ثبت تحريف الكتب التى نزلت قبل القرآن بالحس ، والعقل، والنقل ، أما القرآن فإنه لايتطرق له التحريف ولاالتبديل ، لأن الله عز وجل تولى حفظه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[٤] .

أما الكتب السابقة فإن الله – تعالى – أوكل حفظها إلى علماء كل أتباع كتاب، لكنهم حرفوها وبدلوها واشتروا بها ثمنا قليلا، وعرضا من الحياة الدنيا .

قال تعالى : (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بمااستحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) [٥] .

وقال فى بنى إسرائيل : (وقطعناهم فى الأرض أممامنهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون . فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لايقولوا على الله إلاالحق ودرسوا مافيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلاتعقلون) [٦] .

وممايدل على تحريف التوراة ماقاله الأستاذ / محمد فريد وجدى : " ومن أدلة التحريف الحسية أن التوراة المتداولة لدى النصارى تخالف التوراة المتداولة عند اليهود (٧) " وكذا تناقضها فى أخبارها ووصف الله عز وجل وكذا أنبيائه

(١) سورة النجم الآية رقم (٣٦ ، ٥١) .
(٢) سورة الأعلى الآية (١٨ ، ١٩)
(٣) سورة الإسراء الآية رقم (٩)
(٤) سورة الحجر الآية رقم (٩) .
(٥) سورة المائدة الآية رقم (٤٤) .
(٦) سورة الأعراف الآية رقم (١٦٨ ، ١٦٩) .
(٧) العقائد الإسلامية للشيخ سابق ص ١٤٧ .

- صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وهذا أمر يطول شرحه ليس محله هذا المختصر .

ومثل هذا يقال فى الإنجيل فإن تعددها وتناقضها فيما بينها فى القصة الواحدة فى الموقف الواحد لدليل على ذلك ، وقد قال الله تعالى (يا أهل الكتاب قد جاء كم رسولنا يبين لكم كثيرا مماكنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير) (١) .

القرآن الكريم كتاب الخلود :

أولا : القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية نزولا ، فلاكتاب بعده إلى يوم القيامة . قال تعالى : (الـم الله لاإله إلا هو الحى القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لمابين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان) (٢) .

ثانيا : أنه محفوظ بحفظ الله له لاتمتد إليه يد البشر بالتحريف ولابالتبديل وهاهو منذ نزل إلى يومنا هذا يتحدى الناس جميعا أن يغيروا منه شيئا وقد سبق بيان ذلك .

ثالثا : أن الله عز وجل جعله هدى ونور ، وجعله دليل هذا الهدى والنور وفيه دليل صدقه ، ألاوهو أنه كتاب معجز، فإنه تحدى الناس جميعا والجن كذلك ، أن يأتوا بمثله ، فعجزوا وسيظل عجزهم ظاهرا إلى يوم القيامة .

رابعا :أن الله جعله شاهدا ومصدقا ومهيمنا على ماسبقه من كتب سماوية .

أثر الإيمان بالكتب السماوية :

١ - العلم بأن دين الله الحق واحد غير متعدد .

٢ - وأن الكتب السماوية فى حقيقتها تتعاضد ولاتتعارض فى بيان حقيقة التوحيد ورسالات الله ، فالكتب السابقة بشرت بالرسول الخاتم ، والرسول الخاتم صدق ماجاء فيها ممأنزل الله .

---

(١) سورة المائدة الآية رقم (١٥) .

(٢) سورة آل عمران الآية رقم (١ - ٤) .

الإيمان بالرسل

لقد تعرف الله سبحانه وتعالى إلى خلقه، وعرفهم بمايطلبه منهم من الدين عن طريق رسل اختارهم من بني البشر ، ليبلغوا عن الله دينه وشرعه ، قال - تعالى : (الله يصطفي من الملائكةرسلا ومن الناس إن الله سميع بصير) [١] .

ولم يكن الرسول إلامن بنى الإنسان ذلك ليتم الاقتداء والبيان ، حيث يتفق قانونه مع قوانينهم ، وليعيش بينهم ويطبق تعاليم ربه ، فيكون البيان بالفعل ، كماهو بالقول ، ولم يكن ملكا، لأن طبيعة الملائكة ليست كطبيعة الإنسان فالإنسان يمشي على الأرض ، لكن الملائكة تطير، والإنسان لايتحمل رؤية الملك على صورته الحقيقية . كذلك قال تعالى : (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) [٢] فلو أرسل الله ملكا لأرسله في صورة رجل ، ولو أرسله في صورة رجل ، لكذب المكذبون وقالوا : ليس هذا ملكا إنما هو رجل ، وقد طلب المشركون ذلك فرد القرآن عليهم ، قال - تعالى :(وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لاينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون)[٣] .

وكذلك أرسل الله الرسل من بني الإنسان من الرجال منهم لامن النساء .

قال الله تعالى : (وماأرسلنا من قبلك إلارجالا نوحي إليهم) [٤] .

وماورد من الإيحاء (والوحي هو الإعلام الخفي) إلى النساء كماأوحى الله إلى أم موسى أن ترضعه، فإذا خافت عليه رمته في اليم ، أو إرسال الرسول إليها من الملائكة ليعلمها بشيء - لاعلى سبيل البعثة إلى الناس ، ولادلالتهم على الله -إنما بأمر خاص بها، كماأرسل جبريل عليه السلام -إلى مريم ليبشرهابعيسى عليه الصلاة والسلام ، وعلى نحو ماذكرنا أوحى الله إلى النحل .

قال الله تعالى : (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولاتخافي ولاتحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) [٥] .

---

(١) سورة الحج الآية (٧٥) . (٢) سورة الإسراء الآية (٩٤) .
(٣) سورة الأنعام الآية (٨ ، ٩) . (٤) سورة النحل الآية (٤٣) .
(٥) سورة القصص الآية (٧) .

وقال أيضا:(واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لهابشرا سويا . قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا قال إنما أنارسول ربك لأهب لك غلاما زكيا) [١]

وقال تعالى : (وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) [٢] .

لماذا كان الرسول رجلا ؟

إن الله تعالى حكيم ، والحكمة : وضع الشىء فى موضعه ، فإن الرجل غير المرأة فى أمور كثيرة ، والرسالة تتناسب وطبيعة الرجل دون المرأة ، فهى تقتضى التحمل الشديد فى معاناة الخلق ، والصبر على إيذائهم ، والدعوة بالليل والنهار ، وحمل آيات الجهاد فى سبيل الله وهذه الأمور لاتتحملها المرأة ولاتطيقها بحكم تكوينها قال – تعالى – : (وليس الذكر كالأنثى) [٣] .

ولأن الدعوة تحتاج إلى وفور عقل ، لتحكميه فى المواقف المختلفة التى ليس فيها وحى ، والمرأة عاطفتها تغلب على عقلها والواقع يشهد ويؤيد ذلك .

ثم أمر أخر وهو أن هذا هو محض اصطفاء الله واختياره ، فالله يختار لرسالته من يشاء ، والواقع أنه اختار من الرجال لا النساء قال تعالى : (الله أعلم حيث يجعل رسالته)[٤] .

واذا ماتأملت سيد المرسلين رسولا وجدت أن الدعوة لاتحتاج إلى الرجال – فحسب –وإنما تحتاج إلى الأشداء من الرجال جسما ، وقلبا ، وروحا ، وخلقا .

لكل أمة رسول :

والله – سبحانه وتعالى– أرسل فى كل أمة رسولا ، فأرسل نوحا إلى قومه ، ولوطا إلى قومه ، وصالحا إلى قومه ، وشعيبا إلى أصحاب الأيكة ، والأيكة هى الأشجار الملتفة وأرسل موسى إلى بنى إسرائيل ، وهودا إلى عاد ، وهكذا ....

---

(١) سورة مريم الآية (١٦ – ١٩) .

(٢) سورة النحل الآية (٦٨ ، ٦٩) .

(٣) سورة آل عمران الآية (٣٦) .

(٤) سورة الأنعام الآية (١٢٤) .

الأدلة :

قال الله تعالى : (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) [1]

قال تعالى : (وإلى عاد أخاهم هودا) [2]

وقال تعالى : (وإلى ثمود أخاهم صالحا) [3] .

وقال تعالى : (وإلى مدين أخاهم شعيبا)[4]

رسالة محمد إلى البشرية جميعا وإلى يوم القيامة :

سبق القول أن كل أمة أرسل إليها رسول ، وأن كل رسول كانت رسالته لوقت " ما " إلى أن يرسل الله سبحانه وتعالى - رسولا آخر لهؤلاء المرسل إليهم ، أما رسالة النبي محمد ﷺ فإنها عامة إلى كل الناس ، فمبادئها ومادعت إليه تصلح للناس جميعا ،إلى يوم القيامة . إذن فلا داعى لأن تتعدد الرسالات في الأرض .

وكذلك كانت ممتدة إلى آخر الزمان ، لأنه لوفرض أن يأتى رسول فإنه لن يأتى بجديد غير ماجاء به محمد .

لذا قال الله - تعالى - : (وماأرسلناك إلارحمة للعالمين) [5] وقال (قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلاهو يحيى ويميت)[6] .

وقال - تعالى - : (ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبين)[7] وقال - ﷺ - : " أنا العاقب فلانبى بعدى [8] " وقال : " بعثت أنا والساعة كهاتين ، وأشار بأصبعيه السبابه والوسطى[9] "والمعنى :" ليس هناك فاصل بينى وبين الساعة من رسالة ، كمالايوجد بين هذين الأصبعين فاصل .

عصمة الأنبياء :

الأنبياء هم صفوة الله من خلقه ، اختصهم بتبليغ دينه ودعوته ، وتعليم الناس شريعة الإسلام ، فهم القدوة للناس ، ينظر الناس إليهم فيجدون دعوتهم قد

---

(١) سورة فاطر الآية (٢٤) .

(٢) سورة الأعراف الآية (٦٥) .

(٣) سورة الأعراف الآية (٧٣) .

(٤) سورة الأعراف الآية (٨٥) .

(٥) سورة الأنبياء الآية (١٠٧) .

(٦) سورة الأعراف الاية (١٥٨) .

(٧) سورة الأحزاب الآية (٤٠) .

(٨) أخرجه مالك فى الموطا كتاب أسمائه ﷺ حديث رقم :١ .

(٩) متفق عليه وقد سبق .

تجسدت فيهم ، لذا عصمهم الله عن اقتراف الذنوب والمعاصى ، فهم من النقاء والصفاء بمحل جعلهم أهلا لهذه المهمة الشريفة السامية العالية.

وقد تقع منهم بعض هنات يعاتبهم الله سبحانه وتعالى عليها لاتخل بمكانتهم السامية ، لأنها ليست فى أمور العقائد ولاالأخلاق ، إنما تكون فى بعض العادات وسياسات الأمم وهى أمور تقديرية تختلف الأنظار فيها ، وعلى ذلك نفهم أن ماأسمى ذنبا بالنسبة لهم هو من هذا القبيل ، وعلينا أن نعلم أن الأنبياء وعلى رأسهم سيدنا محمد – صلوات الله عليهم أجمعين – أعلم الناس بالله ، وأشدهم له خشية وأقربهم به صلة : سبحانه وتعالى .

واجبنا نحو الرسل :

إن عقيدة الإسلام تدعو إلى الإيمان برسل الله جميعا دون تفرقة بين رسول ورسول ممن ذكروا لنا ومن لم يذكروا لنا ، هذا إجمالا .

أما تفصيلا : فيجب الإيمان بخمسة وعشرين رسولا ذكروا فى القرآن ، ومنهم خمسة هم أولو العزم من الرسل ، وهم أبرز من صبروا فى الدعوة وأوذوا وتحملوا أذى الناس فى دعوتهم إلى الله ، وقد ذكرهم فى موضعين من القرآن .

الأول فى سورة الأحزاب . قال تعالى : (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا)[1]

والثانى فى سورة الشورى ، قال تعالى : (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا إليك وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه) [2]

وقد ذكر الله عدد ثمانى عشر رسولا فى موضع واحد ، قال تعالى : (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم. ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين. ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم . ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا

(١) سورة الأحزاب الآية (٧)

(٢) سورة الشورى الآية (١٣)

لحبط عنهم ماكانوا يعملون أولئك الذين أتيناهم الحكم والنبوة ، فإن يكفر بهاهؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين . أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لاأسألكم عليه أجرا إن هو إلاذكرى للعالمين) [1] .

والباقون هم : إدريس ، وهود ، وشعيب ، وصالح ، وذو الكفل ، وآدم ، ومحمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين .

ولذا قال القائل :

حتم على كل ذى التكليف معرفة	∴	بأنبياء على التفصيل قد علموا
فى تلك حجتنا منهم ثمانية	∴	من بعد عشر ويبقى سبعة وهموا
إدريس هود وشعيب صالح وكذا	∴	ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

فيجب الإيمان بهؤلاء تفصيلا وبالجميع إجمالا ، لأن هناك أنبياء لم يذكروا لنا ، قال تعالى : (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك)[2] وقال : (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) [3] .

أما الدليل على وجوب الإيمان بهم جميعا ، فقوله تعالى - : (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) [4] .

وقال : (آمن الرسول بماأنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) [5] وواجبنا أن نؤمن أن الأنبياء قد اتصفوا بصفات الكمال البشرى ، وأنه قد وجب لهم الصدق ، والأمانة ، والتبليغ، والفطانه ،

فلا يجوز الكذب على أنبياء الله - بل هم الصادقون حقا .

وكذلك يستحيل فى حقهم الخيانة، وإلا فإنهم لايؤمنون على التبليغ عن الله عز وجل ، ولقد ضرب الأنبياء الأمثلة الرائعة فى ذلك حتى كان رسول الله ﷺ يلقب " بالصادق الأمين " .

(١) سورة الأنعام الآية (٨٣ - ٨٩) .
(٢) سورة النساء الآية (١٦٤) .
(٣) سورة غافر الآية (٧٨)
(٤) سورة النساء الآية (١٥٠) .
(٥) سورة البقرة الآية (٢٨٥) .

وكذلك قال من قبله من الأنبياء : (إنى لكم رسول أمين)[1] .

وكذلك فإن مهمتهم التبليغ عن الله ، فلم يكتموا شيئا أرسلهم به الله ولو كتموا شيئا لكتم محمد ﷺ سورة (عبس وتولى) ، ولكتم عتاب الله له فى سورة النساء والأنفال ، والتوبة ، والأحزاب .

وكذلك ينبغى أن يكون ذكيا ، ويستحيل أن يكون بليدا ، حتى يستطيع الإقناع وحتى لايستخفه الناس .

وتأمل ماكان من محمد - ﷺ - فى شأن وضع الحجر الأسود، ومافعل حينما اختلفوا فيمن يضعه وتنافسوا فى ذلك حتى كادت تشب بينهم نار الحرب ودام بينهم هذا الخصام أربع ليال ، وكان أسن رجال من قريش إذ ذاك أبو أمية بن المغيرة المخزومى - عم خالد بن الوليد - فقال لهم : ياقوم لاتختلفوا وحكّموا بينكم من ترضون حكمه ، فقالوا : نكل الأمر لأول داخل ، فكان هذا الداخل هو الأمين المأمون عليه الصلاة والسلام ، فاطمأن الجميع إليه لماعهدوه فيه من الأمانة وصدق الحديث ، وقالوا : هذا الأمين رضيناه ، هذا محمد ، لأنهم كانوا يتحاكمون إليه إذ كان لايدارى ولايمارى ، فلماأخبروه الخبر بسط رداءه وقال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم وضع فيه الحجر وأمرهم برفعه حتى انتهوا به إلى موضعه فأخذه ووضعه فيه[1] .

وهكذا عالج محمد قبل أن يبعث هذه المشكلة الضخمة .

---

(١) نور اليقين للشيخ محمد الخضرى ص ٢٥ ، ٢٦ مكتبة المنار.

الإيمان بالقضاء والقدر

مقدمات :

لفهم القضاء والقدر لابد من العلم بمايلى :

أولا : الإيمان بالقضاء والقدر داخل فى الإيمان بالله عز وجل ، لذا لم يذكر فى آية البقرة رقم (١٧٧) .

وقد ذكر فى الحديث الذى عدد أركان الإيمان ،لأن السنة فى مقام التفصيل والشرح والبيان والقرآن فى مقام الإيجاز والتأصيل .

ثانيا : لاينبغى الخوض فى هذه المسألة ، وليس هذا حجرا على العقل أن يفكر ، ولكنه حرص على العقل حتى لايتعدى حدوه فى التفكير ، ويتحمل فوق طاقته ، ويعمل خارج دائرته .

وأول خطأ للعقل فى هذه الدائرة أنه يطبق على الله مقاييس العدالة البشرية ، وقد يكون لله حكمة خفية لم يطلع عليها البشر ، وفى قصة موسى والخضر فى سورة الكهف بيان لذلك ، حينما ركبا السفينة وخرقها الخضر ، وكذا لماقتل الغلام، ومثلها حينما أقام الجدار للقرية البخيلة ضرب الله مثلا بذلك لنفهم منه ألانسرع بإصدار الأحكام قبل إدراك الوقائع جميعا ، وليس فى قدرة العقل ذلك كله إلاماأظهره الله تعالى له .

ثالثا : الإنسان مجبر فى أمور ، ومخير فى أمور ، فليس مخيرا على الإطلاق ، وليس مجبرا على الإطلاق .

فإن الإنسان يستطيع أن يحرك يده بإرادته ، ذلك أن الله تعالى جعل عضلاتها خاضعة له . لكنه لايستطيع التحكم فى عضلات قلبه ، ومعدته .

والإنسان لادخل له فى طوله ، ولالونه ، ولاإرادة له فى إمساك نفسه إذا ألقى من شاهق .

وكذا هو مخير فى حدود الطاقة البشرية فقد رزقه الله عقلا يميز به بين الخير والشر ، فهو يستطيع أن يرفع يده ليتصدق على مسكين ، أو يضرب بها بريئا .

أليس هذا باختيار وذلك باختيار ، أليس مستحقا للثواب فى الأول ، وللعقاب فى الثانى ؟

رابعا : إن الله تعالى بعدله وحكمته رتب الثواب والعقاب على مايفعله الإنسان مختارا له .

أما مايحدث منه جبرا فلا ثواب ولاعقاب عليه فى جميع الأمور .

خامسا : بعض العلماء جعلوا القضاء والقدر لفظين مترادفين فعرفوهما تعريفا واحدا مؤداه :

أنه هو : النظام المحكم ، والضوابط الدقيقة التى وضعها الله سبحانه لهذا الوجود ، والسنن التى ربط بها الأسباب بمسبباتها ، وتنتظم على أساسها ظواهر الحياة وبواطنها .

(الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى) [1]

(وكل شىء عنده بمقدار) [2]

(والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لاالشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولاالليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون) [3] .

والبعض فرق بينهما على هذا النحو :

القـــــدر : علم الله تعالى بماتكون عليه المخلوقات فى المستقبل .

والقضـــاء : إيجاد الله الأشياء حسب علمه وإرادته .

والبعض فرق بينهما على عكس ماقال البعض الذى سبق بيان قوله ، فجعل تعريف القضاء للقدر ، والقدر للقضاء [4] .

سادسا : عدالة القدر لاتنافى التفضل والتميز ..

معنى ذلك : أن الرجلين قد يؤديان عملا متشابها ، ويستحقان أجرا واحدا فيعطى الله الرجلين أجريهما ، ثم يمنح أحدهما زيادة خاصة من لدنه دون الآخر ، وقد يرتكب مخطئان ذنبا واحدا ويستحقان عقوبة مشتركة ، ثم يصدر عفو عن أحدهما ، ويبقى الآخر رهين ذنبه .

فليعرف الناس أن الله لامستكره له ، ولاقيد على مشيئته ، فليأت العباد إلى

---

(١) سورة الأعلى الآية (٢ ، ٣) .

(٢) سورة الرعد الآية (٨) .

(٣) سورة يسن الآية (٣٨ - ٤٠) .

(٤) راجع هذا فى الإيمان أركانه ونواقضه د/ نعيم (ياسين) ص ١٠٨ ط دار التوزيع والنشر الإسلامية

ساحته وقلوبهم منفعلة بمشاعر الرغبة والرهبة فحسب[1] .

سابعا : المخلوقات فى الهداية والإرادة نوعان :

النوع الأول : مسخر بطبعه ، هداه الله لماسخره له كالشمس ، والقمر .

النوع الثانى : متحرك بإرادته وهو ثلاثة:

الأول : لايريد إلاالخير ولايتأتى منه إرادة سوء . كالملائكة .

الثانى : لايريد إلا الشر ولايتأتى منه خير ، كالشياطين .

الثالث : يتأتى منه إرادة القسمين كالإنسان .

فمنهم من يغلب إيمانه وعقله هواه وشهوته وهذا يلتحق بالملائكة ، ومنهم من هم عكس ذلك ، وهذا يلتحق بالشياطين .

ومنهم من تغلب شهوته البهيمية عقله فيلتحق بالبهائم[2] .

ثامنا :الله خالق الخير والشر ، لكن لايضاف الشر إلى الله عز وجل لأمور ، منها :

١ - وجوب التأدب مع الله كماورد حكاية عن الجن :

(وأنا لاندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا) [3] .

وقال الخضر لموسى : (فأردت أن أعيبها) [4] فنسب ذلك لنفسه ثم قال فى الغلامين : (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) [5] .

٢ - ولأن الله سبحانه لايخلق شرا محضا أبدا ، فمامن شرفى ظاهره إلاوفى طياته من الخيرات مالايحصى ، حتى خلق إبليس ، وحتى الذنوب والمعاصى .

وسيأتى لذلك مزيد بيان فى المقدمة الآتية :

تاسعا : لابد أن نعرف أن هناك فرقا بين الإرادة ، والرضا، والحب ، فقد يكون الشىء مرادا وهو فى الوقت ذاته مكروه بغيض

وإنما يخطىء الناس فى عقيدة القضاء لعدم إدراك هذه التفرقة وبيان ذلك : المراد نوعان : مراد لنفسه ، ومراد لغيره .

---

(١) عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالى (بتصرف) ص ١١٩ ط / دار الكتب الإسلامية .

(٢) بتصرف من الجداول الجامعة فى العلوم النافعة / العقيدة ص ٢٧ ط . الأولى الدعوة - الكويت .

(٣) سورة الجن الآية (١٠) .

(٤) سورة الكهف الآية (٧٩)

(٥) سورة الكهف الآية (٨٢) .

فالمراد لنفسه : مطلوب محبوب لذاته ومافيه من الخير ، ويقولون عنه : مراد إرادة الغايات والمقاصد .

والمراد لغيره : قد لايكون مقصودا للمريد ولافيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده .

ومن هنا يجتمع فيه الأمران بغضه وإرادته ، ولايتعارضان لاختلاف الحيثية أو كمايقولون : لاختلاف متعلقهما .

وإذا تقررت هذه القاعدة فلنضرب الأمثلة ليتضح مانقول :

أ - الدواء الكريه إذا علم المتناول أن فيه شفاءه .

ب - قطع العضو المتآكل إذا علم أن فى قطعه بقاء جسده .

جـ - قطع المسافة الشاقة إذا علم أنها توصل إلى المطلوب .

بل إن الفاعل ليؤثر هذا المكروه إذا علم أو ظن أنه سيوصل إلى محبوب هذا على حد علم أو ظن الانسان وهو قاصر وعلمه محدود وقد يتخلف، فكيف بالله الذى لاتخفى عليه خافية فى الأرض ولافى السماء ؟! فهو سبحانه يكره الشىء ولاينافى ذلك إرادته لأجل غيره ولكونه سببا إلى أمر هو أحب إليه من فوته .

من ذلك أنه خلق إبليس الذى هو مادة لفساد الأديان ، والأعمال ، والاعتقادات والإرادات ، وهو سبب لشقاوة كثير من العباد وعملهم بمايغضب الرب سبحانه وهو الساعى فى وقوع خلاف مايحبه الله ويرضاه .

ومع ذلك فهو وسيلة إلى محاب كثيرة للرب تعالى ترتبت على خلقه ووجودهما أحب إليه من عدمها لأمور :

منها : أن يظهر للعباد قدرة الله تعالى على خلق المتضادات المتقابلات فخلق هذه الذات التى هى أخبث الذوات وشرها، فى مقابلة ذات جبريل التى هى أشرف الذوات وأطهرها ، فتبارك الله خالق هذا وهذا .

كماظهرت قدرته فى خلق الليل والنهار ، والداء والدواء ، والحسن والقبح ، وذلك دليل كمال قدرته .

ومنها : ظهور آثار أسمائه القهرية مثل : القهار ، والمنتقم ، وشديد العقاب ، وذى البطش الشديد ، فإن هذه الأسماء والأفعال كمال لابد من وجود متعلقها ، ولو كان الجن والإنس على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء .

ومنها : ظهور آثار أسمائه المتضمنه عفوه ، ومغفرته ...

وقد أشار النبي – ﷺ – إلى هذا بقوله : " لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ، ويستغفرون ، فيغفر لهم " .

ومنها : حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما حصلت ، فإن عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية إليه سبحانه ، ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها ، من الموالاة لله سبحانه وتعالى والمعاداة فيه ، وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعبودية الصبر والتوبة .

فإن قيل : فهل يمكن وجود تلك الحكم بدون هذه الأسباب .

فهذا سؤال فاسد ، وهو فرض وجود الملزوم بدون لازمه ، كفرض وجود الحركة بدون المتحرك ، والتوبة بدون التائب .

فان قيل : كيف يرضى لعبده شيئا ولايعينه عليه .

قيل : لأن إعانته عليه قد تستلزم فوات محبوب له أعظم من حصول تلك الطاعة التي رضيها له ، وقد يكون وقوع تلك الطاعة منه يتضمن مفسدة هي أكره إليه سبحانه من محبته لتلك الطاعة ، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك في قوله :

(ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ، ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) [١] .

فأخبر سبحانه أنه كره انبعاثهم إلى الغزو مع رسوله ، وهو طاعة ، فلما كرهه منهم ثبطهم عنه .

ثم ذكر سبحانه بعض المفاسد التي تترتب على خروجهم مع رسوله فقال:

(لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا – أي فسادا وشرا – ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين) [٢] .

أي : سعوا بينكم بالفساد وفيكم من يستجيب لهم ، فيقولون : من سعى هؤلاء . وفي استجابة هؤلاء من الشر ماهو أعظم من مصلحة خروجهم ، فاقتضت الحكمة والرحمة أن أقعدهم عنه [٣] .

---

(١) سورة التوبة الآية (٤٦) .　　(٢) سورة التوبة الآية (٤٧) .

(٣) انظر : أصول العقيدة الإسلامية للأستاذ / عبدالمنعم صالح العلي العزى ص ٨٠ – ٨٢ .

الإيمان بالقضاء والقدر ومراتبه :

يجب الإيمان بعلم الله القديم ومشيئته النافذة ، وأنه ماشاء كان ، ومالم يشأ لم يكن ، وأن الخلق جميعا لو احتجوا على ضر إنسان أراد الله له النفع ماأستطاعوا ، ولو اجتمعوا على نفع إنسان لم يرد الله له ذلك ، لم يستطيعوا .

ويجب الإيمان أن ماأخطأ الإنسان لم يكن ليصيبه ، وأن ماأصابه لم يكن ليخطئه ، وأن هذا الكون يسير وفق ماعلم الله وقدر ، فهو كون مبرمج - بحسب اصطلاح الناس الحديث - لم يترك سدى .

وأن الله قدر الخير والشر ...

فيجب على الإنسان أن يؤمن بالقضاء والقدر على هذا النحو بمراتبه :

١ - الإيمان بعلم الله سبحانه بالأشياء ، وأنه علم أعمال العباد قبل أن يعملوها .

قال تعالى:(ومايعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولافى السماء) (١) .

٢ - أنه سبحانه كتب ذلك فى اللوح المحفوظ .

قال الله - تعالى - (ماأصاب من مصيبة فى الأرض ولافى أنفسكم إلافى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير)(٢)

٣ - أنه مشيئته سبحانه نافذة ، وقدرته شاملة لكل شىء فمامن حركة ولاسكون فى الأرض ولافى السماء إلابمشيئته سبحانه ،

قال تعالى : (وماتشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) (٣) .

٤ - إن الله هو الخالق لكل شىء وماسواه مخلوق .

قال تعالى : (وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم ، ذلكم الله ربكم لاإله إلاهو خالق كل شىء فاعبدوه وهو على كل شىء وكيل) (٤) .

ويترجمون للأول : " بالعلم " ، وللثاني" : بالكتابة وللثالث : " بالمشيئة " وللرابع : " بالخلق والإيجاد " .

---

(١) سورة يونس الآية (٦١) .

(٢) سورة الحديد الآية (٢٥) .

(٣) سورة الإنسان الآية (٣٠) .

(٤) سورة الأنعام الآية (١٠١ ، ١٠٢)

قال الإمام ابن تيمية فى هذا المعنى :

" وتؤمن الفرقة الناجية - أهل السنة والجماعة - بالقدر : خيره وشره .

والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين :

فالدرجة الأولى : الإيمان بأن الله تعالى علم ماالخلق عاملون ، بعلمه القديم الذى هو موصوف به أزلا ، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصى والأرزاق والآجال .

ثم كتب فى اللوح المحفوظ مقادير الخلق ، فأول ماخلق الله القلم قال له : اكتب قال : ماأكتب ؟ قال : اكتب ماهو كائن إلى يوم القيامة ، فماأصاب الإنسان لم يكن ليخطئه ، وماأخطاه لم يكن ليصيبه ، جفت الأقلام وطويت الصحف .

كماقال سبحانه : (ألم تر أن الله يعلم مافى السماء والأرض ، إن ذلك فى كتاب إن ذلك على الله يسير) (١) .

وقال : (ماأصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلافى كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير) (٢).

وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه - يكون فى مواضع جملة وتفصيلا ، فقد كتب فى اللوح المحفوظ ماشاء ، وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكا ، فيؤمر بأربع كلمات فيقال له : اكتب رزقه وأجله وعمله ، وشقى أو سعيد، ونحو ذلك .

فهذا القدر قدكان ينكره غلاة القدرية قديما ، ومنكره اليوم قليل .

وأما الدرجة الثانية : فهو مشيئة الله النافذة ، وقدرته الشاملة ، وهو الإيمان بأن ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ، وأنه مافى السموات والأرض من حركة ولاسكون إلابمشيئة الله سبحانه ، لايكون فى ملكه إلامايريد وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات .

فمامن مخلوق فى الأرض ولافى السماء إلا الله خالقه سبحانه ، لاخالق غيره ولارب سواه . ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته ، وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته . وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولايحب الكافرين ، ولايرضى عن القوم الفاسقين ، ولايأمر

---

(١) سورة الحج الآية (٧٠) .

(٢) سورة الحديد الآية (٢٢) .

بالفحشاء ، ولايرضى لعباده الكفر ، ولايحب الفساد .

والعباد فاعلون حقيقة ، والله خالق أفعالهم ، والعبد هو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلى والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم ، ولهم إرادة ، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم ، كماقال تعالى : (لمن شاء منكم أن يستقيم وماتشاؤون إلاأن يشاء الله رب العالمين) .

وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبى ﷺ : مجوس هذه الأمة [1] .

شبهات وردود :

١ - قد يقول قائل : إذا كان الله عز وجل (يضل من يشاء ويهدى من يشاء) بنص القرآن ، فلماذا يعاقب الضال وهو الذى أضله ، وهل كان بإمكانه أن يكون مهتديا ؟ .

وأقول : إن أخذ آية وفهمها بمعزل عن أخواتها من الآيات التى قيدتها إن كانت مطلقة ، أو بينت جانبا آخر من المعنى لم تبينه الآية الأولى لخطأ بين وافتيات على الله سبحانه وتعالى :

وإن القرآن نزل يصدق بعضه بعضا ، ولم ينزل ليكذب بعضه بعضا .

وفى ضوء آيات القرآن الكريم أقول :

إن معنى إضلال الله الإنسان ليس معناه أنه أجبره أو حمله على الضلال ولو تركه وشأنه لكان مهتديا ، أوكان قابلا للاهتداء ، كلا كلا ، فماوجدنا أحدا أراد المسجد فإذا به دون إرادة منه يحيد عن طريقه إلى طريق حانه .

ماوجدنا أحدا أراد أن يأمر بمعروف وينهى عن منكر ، فإذا به يهذى دون إرادته هو .

وبالمثل ماوجدنا إنسانا أراد أن يسرق فإذا به دون إرادته هو يدخل المسجد قسرا وجبرا .

(١) خرج أبو داود عن ابن عمر عن النبى (ﷺ) فى جـ٤ / ٣٥٧ : القدرية مجوس هذه الأمة ورواه الحاكم . وخرج أحمد وغيره : لكل أمة مجوس ، ومجوس أمتى الذين يقولون لاقدر إلخ . راجع جـ٨ / ٤ مسند محقق ، وهو وإن كان إسناده ضعيف إلاأن له شواهد ينتهى مجموعها إلى درجة الحسن . وقد ذكره السيوطى فى الجامع وعزاه لأحمد ورمز له بالحسن وكلام ابن تيمية السابق من كتاب العقيدة الواسطية / مجموع الفتاوى ٣/ ١٤٨ - ١٥٠ ط مطابع الرياض ، والآية الآنفة الذكر من سورة الإنسان رقم (٣٠) .

وهذا الذى يحتج به الناس على الله من قضائه وقدره لايرضونه من عبيد أمثالهم ، فلو أمر رجل ولده أن يفعل شيئا فأهمل وقصر ، فأراد أن يعاقبه ، فاحتج عليه بأن ذلك قدر ، هل ترون ذلك الأب يقبل من ابنه هذا الاعتذار ؟ نرجع إلى مابدأناه من الجواب : إن إضلال الله لشخص معناه أن هذا الشخص اختار طريق الغواية ، وآثره على طريق الهداية ، فأقره الله سبحانه على مااختاره لنفسه وماآثره ومدله فيه .

وإن هداية الله لإنسان معناها أن هذا الإنسان اختار طريق الهداية وآثره على طريق الغواية أقره الله على اختياره ، وايثاره ومدله فيه ، أنرى أن الله سبحانه عامل هذا بمعاملة ، وذاك بمعاملة أخرى ؟ أترى أن الله قضى أبدا بميزان غير الميزان الذى قضى به لذاك؟ لا والله ، وماربك بظلام للعبيد ، وماالله يريد ظلما للعالمين .

والآن لنستعرض الآيات التى تناولت هذا الأمر فنقرأها ونفهمها ببصيرة .

من يقرأ قوله تعالى عن القرآن : (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا) [1] ربما يفهم منه أن الهدى والضلال أمر قد قدره الله عليهم ، وألزمهم به وجعل هؤلاء ضالين وهؤلاء مهتدين . ولكنه إذا قرأ قوله تعالى : " ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين " [2] وقوله تعالى : (ومايضل به إلاالفاسقين) [3] .

علم أن الهدى والضلال ليس إلزاما من الله ، ولكنه تابع لحالة الإنسان فإنه إن كان متقيا كان القرآن هدى له ، وإن كان فاسقا كان له ضلالا .

قد يقول : ومايدرينى اذا كان الله قد جعلنى من المتقين أو جعلنى من الفاسقين ؟ فإذا انتبه إلى قوله تعالى : (للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) [4] .

وقوله : (إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ماأمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض) [5] .

علم أن المسألة ليس فيها إجبار ، وأن مردها إلى صفات وأعمال داخلة فى نطاق حرية الإنسان وطاقته .

فأنت تستطيع أن تؤمن بالغيب ، وأن تقيم الصلاة ، وتنفق فى سبيل الله . وتستطيع أن تنقض العهد ، وتقطع الموصول ، وتفسد فى الأرض ، أمور فى

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٦) .
(٢) سورة البقرة الآية (٢) .
(٣) سورة البقرة الآية (٢٦) .
(٤) سورة البقرة الآية (٢ ، ٣) .
(٥) سورة البقرة الآية (٢٦ ، ٢٧) .

طاقتك ؛ وفى إمكانك تركها ، إن عملت الثلاث الأولى كنت بذلك من المتقين ، فاستحققت الهداية ، وإن عملت الثلاث الأخرى كنت بذلك من الفاسقين فاستحققت الضلال(١)

ابدأ أنت والله يقرك ويساعدك ، أو يمد لك فيما اخترت . (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم)(٢) (قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا)(٣) ذلك محض عدله سبحانه وتعالى .

وعلى السؤال الثانى : هل كان بإمكانه أن يكون مهتديا ؟!

أقول : هل قام ذلك المجادل فجرب حتى يعلم هل كان بإمكانه أولا ؟! إن قضاء الله عز وجل وقدره بمعنى علمه ، وعلم الله محيط بماكان ومايكون إلى يوم القيامة، فهل علم أن الله أجبر الإنسان على فعل الخير، أو الشر ، وهل أعطى الله سبحانه علمه لأحد فأعلمه أنه سيكون برا أو فاجرا ؟!!

تأمل معى هذا القول لعبدالله بن عمر - رضى الله عنه - قال :

" مثل علم الله فيكم - أى قضائه وقدره - كمثل السماء التى أظلتكم والأرض التى أقلتكم ، فكما لاتستطيعون الخروج من السموات والأرض ، كذلك لاتستطيعون الخروج عن علم الله ، وكما لاتحملنكم السموات والأرض على فعل المعاصى ، كذلك لايحملنكم علم الله على فعل المعاصى " .

ولنضرب لذلك مثلا يقرب المعنى ، ولله المثل الأعلى فى السموات والأرض ؛

لو أرسل رجل ابنه لشراء شىء ما ، ثم حينما أرسله قال لعلمه بابنه وأخلاقه وسلوكه - هذا الولد سيلعب بالنقود ، ويتأخر ، ثم حدث ماقال تماما ، فهل علم الوالد أجبر الولد على شىء من ذلك ؟!!

وهل علم الوالد يعفى الولد من العقوبة ؟!!

فعلم الله سبحانه أوثق وأتم وأكثر إحاطة من علمنا ببعضنا ، وكيف يحتج الإنسان بذلك على الله ، ولايحتج بذلك فى أمور الدنيا ، فلماذا يدفع الجوع بالطعام ، والبرد بالغطاء ، والمرض بالدواء إلخ ، ولايقول الجوع والبرد ، والمرض أقدار الله .

---

(١) تعريف عام بدين الإسلام للشيخ على الطنطاوى (مختصرا) ص ١٣٧ - ١٣٩.

(٢) سورة محمد الآية (١٧) (٣) سورة مريم الآية (٧٥) .

وقد جاء في الحديث عن جابر – رضي الله عنه – عن النبي – ﷺ – قال

« يكون في آخر الزمان قوم يعملون المعاصي ، ثم يقولون الله قدرها علينا . المنكر عليهم يومئذ كالشاهر سيفه في سبيل الله » .

٢ - وقد يقول قائل :

إذا كان الكفر بقضاء الله وقدره ، ونحن مأمورون أن نرضى بقضاء الله ، فكيف ننكره ونكرهه ؟!

هذا السؤال ورد هكذا في شرح العقيدة الطحاوية ، والجواب من مختصر هذا الشرح : قال :

فالجواب : أن يقال أولا : نحن غير مأمورين بالرضا بكل مايقضيه الله ويقدره ، ولم يرد بذلك كتاب ولاسنة .

بل من المقضي مايرضى به ، ومنه مايسخط ويمقت ، كمالايرضى به القاضي لأقضيته سبحانه ، بل من القضاء مايسخط كماأن من الأعيان المقضية مايغضب عليه ويمقت ويلعن ويذم .

ويقال ثانيا : هنا أمران : قضاء الله ، وهو فعل قائم بذات الله تعالى ، ومقضي ، وهو : المفعول المنفصل عنه .

فالقضاء كله عدل وخير ، وحكمه : نرضى به كله .

والمقضي قسمان : منه مايرضى به ، و منه مالايرضى به .

ويقال ثالثا : القضاء له وجهان :

أحدهما : تعلقه بالرب سبحانه وتعالى ، فمن هذا الوجه ونسبته إليه يرضى به .

والوجه الثاني : تعلقة بالعبد ، ونسبته إليه ، فمن هذا الوجه ينقسم إلى مايرضى به ، وإلى مالايرضى به .

مثال ذلك : قتل النفس له اعتبارات ، فمن حيث قدره الله وقضاه وكتبه ، وشاءه ، وجعله أجلا للمقتول يرضى به .

ومن حيث صدر من القاتل وباشره ، وأقدم عليه باختياره وعصى الله بفعله نسخطه ولانرضى به[1] .

---

(١) أصول العقيدة الإسلامية ص ٨٢ ، ٨٣ .

ثمار الإيمان بالقضاء والقدر :

لكل ركن من أركان الإيمان ثماره اليانعة وآثاره الطيبة الملموسة في الدنيا والمرجو ثوابها وأجرها في الآخرة :

١ - الشجاعة النادرة ، وعدم التردد .

إذ من علم أن القلم قد جف بماهو كائن الى يوم القيامة ، ومن اعتقد أن ماأصابه لم يكن ليخطئه وماأخطأه لم يكن ليصيبه كان أبعد من الجبن ، وأول الناس إقداما ، وأمضى الناس عزيمة ، وأقوى الناس شكيمة لذا كان علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يقول :

أي يومي من الموت أفر	∴	يوم لايقدر أو يوم قدر
يوم لايقدر لاأرهبه	∴	ومن المقدور لاينجو الحذر

٢ - صلاح البال ، وهدوء القلب لمايقع ، والرضا بماوقع .

فكله بتقدير العزيز العليم ، وعدم الغرور بماحصل الإنسان .

قال تعالى:(ماأصاب من مصيبة إلابإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) (١) .

وقال : (ماأصاب من مصيبة في الأرض ولافي أنفسكم إلافي كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على مافاتكم ولاتفرحوا بماآتاكم) (٢) .

فكل شيء في الكون يسير وفق حكمة عليا ، فإذا برىء الإنسان من الجزع عند الإخفاق ، ومن الفرح والبطر عند النجاح ، كان إنسانا سويا متزنا ، بالغا منتهى السمو والرفعة .

٣ - الانطلاق إلى البحث عن سنن الله في الكون ، وإدراك القوانين المنظمة لهذا الكون ، فيدفع ذلك إلى استخراج كنوز الأرض والانتفاع بماخلق الله سبحانه وتعالى فيه .

---

(١) سورة التغابن الآية (١١) .

(٢) سورة الحديد الآية (٢٢ ، ٢٣) .

(وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) [1] .

وبذلك يكون الإيمان بالقضاء والقدر قوة باعثة على النشاط والعمل والإيجابية فى الحياة .

٤ - ربط الإنسان دائما بالله سبحانه وتعالى ، فهو سبحانه يخلق مايشاء ويختار فهو المتصرف المطلق وماكان لأحد الاختيار معه.

فتتعلق القلوب بالله بعد الأخذ بالأسباب إذ الأسباب لاتعمل بنفسها .

قال تعالى : (مايفتح الله للناس من رحمة فلاممسك لها ومايمسك فلامرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم) [2] .

---

(١) سورة الجاثية الآية (١٣) .

(٢) سورة فاطر الآية (٢).

أحكام متعلقة بالقضاء والقدر

[١] أنواع القضاء :

قال الإمام النووى : واعلم أن التقادير أربعة :

الأول : التقدير في العلم ، ولهذا قيل : العناية قبل الولاية ، والسعادة قبل الولادة ، واللواحق مبنية على السوابق . قال الله تعالى: (يؤفك عنه من أفك)(١) أى يصرف عن سماع القرآن ، وعن الإيمان به فى الدنيا من صرف عنه فى القدم، قال رسول الله ﷺ "لايهلك الله إلاهالكا" (٢) أى من كتب فى علم الله أنه هالك " .

الثاني : التقدير فى اللوح المحفوظ ، وهذا التقدير يمكن أن يتغير ، قال الله تعالى : (يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) (٣) ، وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه كان يقول فى دعائه : اللهم إن كنت كتبتنى شقيا فامحنى واكتبنى سعيدا (٤) .

الثالث : التقدير فى الرحم ، وذلك أن الملك يكتب رزقه ، وأجله ، وشقى أو سعيد .

الرابع : التقدير هو سوق المقادير إلى المواقيت ، والله تعالى خلق الخير والشر وقدر مجيئه إلى العبد فى أوقات معلومات (٥) .

[٢] مدافعة الأقدار بالأقدار :

إذا كان الله سبحانه وتعالى قدر المقادير ، فإنه سبحانه قدر مايدافعها ، فقدر البرد ، وقدر مايدفعه وهو الملابس والغطاء . وقدر الجوع وقدر مايدفعه وهو الطعام . وقدر العطش ، وقدر مايدفعه وهو : الماء . ومن أقداره أن الله تعالى جعل الدعاء يدفع البلاء ، فالبلاء من قدر الله والدعاء كذلك . وجاء الحديث عن الرسول ﷺ : " والله إن القضاء والدعاء ليعتلجان بين السماء والأرض " .

(١) الذاريات : ٩ .

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم : ٢٠٨ ، أحمد فى جـ١ / ٢٧٩ .

(٣) الرعد : ٣٩ .

(٤) أورد عن تفسير الإمام ابن كثير فى تفسير الآية : ٣٩ من سورة الرعد مثل هذا القول عن غير واحد من السلف جـ٢ / ٥١٩ .

(٥) شرح الأربعين النووية للإمام النووى ص١٤ ، ١٥ ط الشمرلى .

لاإكراه فى الدين

إن عقيدة الإسلام ماقامت يوما على جبر الناس وقسرهم عليها ، بل ولايمكن لعقيدة أن تقوم على قهر الناس على الاعتراف بها .

ذلك أن عقيدة الإسلام تمتلك من الحجة ، والقوة مالاتحتاج معه إلى إكراه .

وكما أنها لاتصادر حرية الناس ، ولاتكرههم على اعتناقها ، فإنها ينبغى ألاتمنع قسراً من الوصول إلى الناس ، وألاتصادر وتقام الحدود والسدود دون تبليغها ، وإلاكان الجهاد لإزاحة من يقف عقبة كئوداً فى سبيل وصولها ، لالمن لم يؤمن بها .

(وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) [1] .

إنه بعد إقامة الحجة ، والبيان ، واستبانة النور من الظلام ، والحق من الباطل يكون الخيار . وهذا هو منهج القرآن فى عرض العقيدة ، تأمل هذا العرض المعجز ، مفنداً لشبهات المشركين ومبينا الدين الخالص :

(والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلاليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيماهم فيه يختلفون . إن الله لايهدي من هو كاذب كفار . لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى ممايخلق مايشاء سبحانه هو الله الواحد القهار . خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألاهو العزيز الغفار . خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لاإله إلاهو فأنى تصرفون » .

ثم تأمل التعقيب الربانى بعد هذا العرض حيث يقول : (إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولايرضى لعباده الكفر ، وإن تشكروا يرضه لكم ولاتزر وازرة وزر أخرى .....) [2] .

وهذا منهج قرآنى فى عرض العقيدة ، أن تهيأ الظروف الملائمة لعرض العقيدة ، ثم بعد ذلك يكون الإيمان بها عن طواعية واختيار .

---

(١) سورة الكهف الآية (٢٩) .

(٢) سورة الزمر الآيات (٣ - ٧) .

قال سبحانه : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لايعلمون)[1] فلم يأمر بإكراهه على العقيدة بعد أن سمع كلام الله .

إن الله سبحانه لايريد أن يجر الناس إلى الحق من أعناقهم ، إنما يريد أن يأتوا إليه من قلوبهم ، فماذا يفعل بالأعناق ؟

(إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين)[2] لكنه لايريد أعناقا إنما يريد القلوب .

إنه قانون قرآني ، وشعار رباني أعلنه بعد أعظم آية فى القرآن ، وقد بينت وشرحت صفات الخالق سبحانه « آية الكرسى » .

قال : (لاإكراه في الدين . قد تبين الرشد من الغى)[3] .

وقال تعالى : (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ، قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ...) [4] .

وإنه للظلم الفاحش ، والتعصب المقيت ، والميل والعوج أن يترك كل ناعق يعرض ماعنده ، ثم تقام الحواجز ، وتوضع العقبات أمام عرض عقيدة الإسلام . ومع هذا كله يقولون إن الإسلان انتشر بحد السيف .

أقول : من أكره المسلمين الأوائل على الإسلام فى مكة ؛ من أكره أبابكر على الإسلام ؟ من شهر السيف فى وجه سعد بن أبى وقاص ، وبلال ، وياسر ، وعمار ، وسمية وعمر بن الخطاب ، وحمزة ؟ حيث كان الأكثر يسلم مستخفيا بدينه ، فياترى هل كان مستخفيا بدينه خوفا من سيف الإسلام ؟ أومن سيف الكفر والشرك ؟ ألافليتذكر أولوا الألباب .

---

(١) سورة التوبة الآية (٦) .

(٢) سورة الشعراء الآية (٤) .

(٣) سورة البقرة الآية (٢٥٦)

(٤) سورة الإسراء الآية (١٠٦ ، ١٠٧) .

هيبة العقيدة وحد الردة

إن للعقيدة الإسلامية هيبتها التى تحفظها من عبث العابثين ، فكما كفلت للناس حرية الاعتقاد وأنه لاإكراه في الدين ، وضحت أنهٔ متى استبان الأمر ووضح ، ودخل الإنسان في هذه العقيدة ، فإنه يلتزم حدودها ونظامها ومن نظامها أن من آمن وصدق وأسلم ، ثم رجع عن الإسلام إلى الكفر فإنه يقام عليه حد الردة وهو القتل ، حتى لايكون الدين ألعوبة فى يد عابث يدخل إذا أراد ، ويخرج إذا أراد ، إن رأى مغنما دخل ، وإن رأى مغرما خرج ، ويكون الدين كالسلعة تروج حينا ، وتبور أخرى ، ويجد المفسدون مجالا رحبا ، وبابا واسعاً لنشر الفوضى ، والشك ، إيهاما أنهم دخلوا فى الدين ثم تبين لهم خلاف ماكانوا يظنون فتكون فتنة للسذج .

أويفتح الباب لفاسد العقل يقبل من الدين ماراقه ، وينكر مالايعجبه ، فينكر المعلوم من الدين بالضرورة ، أويرتكب مكفرا بحجة حرية العقيدة ..

لذا جاء ت الأخبار الصحيحة الصريحة فى هذا الشأن :

فقد جاء فى الحديث : « من بدل دينه فاقتلوه »(١)

وفى الحديث : « لايحل دم امرىء مسلم إلابإحدى ثلاث : الثيب الزانى والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة »(٢)

إنه لاينبغى أن يعيب أحد على عقيدة تحافظ على وجودها ، وتثبت أركانها وتحفظ بيانها من المخربين ، إنما ينبغى أن يلام المفسد ، العابث ، فيقوض بنيانه هو ، ولقد شرع الإسلام أن يستتاب ثلاثا وإلاقتل .

ومن محاسن الإسلام فى هذا أن من المسائل التى لايقتل فيها المرتد مالودخل الإسلام مكرها ، لأن الحكم بإسلامه من حيث الظاهر ، لأن قيام السيف على رأسه ظاهر فى عدم الاعتقاد بقلبه ، فيصير شبهة فى إسقاط القتل ، لعدم التكليف ، فقد رفع عنه المؤاخذة (٣) .

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد ، باب لايعذب بعذاب الله ، وهو بعض حديث فيه برقم (٣٠١٧) جـ٦/ ١٧٣ فتح البارى ، وفى كتاب استتابة المرتدين ، باب حكم المرتد برقم (٦٩٢٢) جـ١٢ / ٢٧٩ .

(٢) رواه أبو داود فى كتاب الحدود برقم (٤٣٥١) جـ١٤/ ١٢٦ ، والترمذى فى كتاب الحدود برقم (١٤٥٨) ٤/ ٥٩ ، وابن ماجه فى كتاب الحدود برقم (٢٥٣٥) ٢/ ٨٤٨ ، والنسائى فى كتاب تحريم الدم ٧/ ٩٦، ٩٧ .

(٣) انظر : الفقه على المذاهب الأربعة ٥ / ٣٤٢ ط . دار الإرشاد للطباعة والنشر .

الموالاة والمعاداة

إن من أهم ثمرات الإيمان بالله سبحانه قضية الحب والبغض ، أوكمانكرنا المودة والمفاصلة ، والبعض يقول : الولاء والبراء ، أو الموالاة والمعاداة . والجميع متقارب .

إذ أن هذه القضية هى من أهم الصور العملية التطبيقية للايمان والتوحيد وجاءت الآيات ، والأحاديث ، والجوانب العملية حاسمة فى هذا الأمر ، فليست هى قضية التراخى والمساومة .

أن يوالى المؤمن الله عز وجل ومنهجه ومن أمر بموالاته أو انبثق عن هذا الولاء وهو موالاة الرسول الذى أرسله بهذا المنهج ، والمؤمنين الذين يتبعون معه هذا المنهج ، ولاولاء لأحد غير هؤلاء .

قال تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتول الله ، ورسوله ، والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون)[١] .

والمؤمن فى دعائه يقول : (واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين)[٢]

فهذه الولاية لاخوف معها (ألاإن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون)[٣] ولاهزيمة معها (بل الله مولاكم وهو خير الناصرين) [٤]

وهى طبيعة المؤمنين مع بعضهم (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض)[٥]

وعن أنس قال ، قال رسول الله - ﷺ - : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مماسواهما ، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كمايكره أن يقذف فى النار » [٦] .

---

(١) سورة المائدة الآية (٥٥ ، ٥٦)

(٢) سورة البقرة الآية (٢٨٦)

(٣) سورة يونس الآية (٦٢) .

(٤) سورة آل عمران الآية (١٥٠)

(٥) سورة التوبة الآية (٧١) .

(٦) متفق عليه ، أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان برقم (١٦) جـ١/٦٠ وأخرجه مسلم فى كتاب الإيمان برقم (٤٣) جـ١ / ٦٦ .

ومع هذا فلابد من مفاصلة الكفر ، والكافرين ، والظلم والظالمين ، فلاتكون مع الإيمان مودة لغير المؤمنين ، ولاحب ، ولا صورة من صور الولاية ولاتعرض الإنسان للعقاب الإلهى وجعل على نفسه سلطانا مبينا، ودليلا واضحا على ضعف إيمانه أو زواله ، (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا)[١]

(ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباء كم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ، قل إن كان آباؤكم وأبناء كم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين) [٢] .

وانظر إلى هذا الترهيب القرآني من موالاة المؤمنين غير المسلمين حيث يقول :(ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لايهدى القوم الظالمين) [٣] .

ولربمايقول قائل – من واقع الهزيمة النفسية ، وضعف الإيمان ، وعدم الثقة بربه – لى مصالح ينبغى أن تجلب ، وهناك مفاسد ينبغى أن تدرأ .. فيجيب القرآن : (فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ماأسروا فى أنفسهم نادمين)[٤] .

ولعل منكراً ينكر هذا علينا ، فنقول : هذا أمر اشترك فيه كل من جمعتهم عقيدة أو مبادىء ، يوالون من وافقهم ، ويعادون من خالفهم ، حتى ولوكانوا على الباطل . إن الكفار أولياء بعض ، وإن الظالمين كذلك ، والمنافقين مثلهم .

قال تعالى : (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلاتفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) [٥]

وقال : (وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض) [٦]

---

(١) سورة النساء الآية (١٤٤) .
(٢) سورة التوبة الآية (٢٣ ، ٢٤)
(٣) سورة المائدة الآية (٥١)
(٤) سورة المائدة الآية (٥٢)
(٥) سورة الأنفال الآية (٧٣)
(٦) سورة الجاثية الآية (١٩)

وقال (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) (١)

بل وبالغوا مبالغة تخطت المعاداة القلبية إلى المفاصلة حتى فى محل الإقامة وتأمل معى مواقف الكفار مع الرسل وأتباعهم .

(قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا ، قال : أولو كنا كارهين ...)(٢)

وقال تعالى :

(وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا)(٣)

ولقد كان للمؤمنين قدوة حسنة وأسوة طيبة فى أبيهم إبراهيم حينما أعلنه مبدأ عاما فى المعاداة والمفاصلة ، حيث قال الله سبحانه : (قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومماتعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلاقول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك ومآأملك لك من الله من شيء)(٤) .

ومما يظهر بجلاء علاقة هذا المبدأ بالإيمان قوله تعالى : (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولوكانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألاإن حزب الله هم المفلحون)(٥) .

وينبغى التفرقة بين الموالاة والمودة ، وبين البر والقسط ، فالموالاة والمودة منهى عنهما ، والبر والقسط مأمور بهما كمافى قوله تعالى : (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) (٦)

ولذلك يجتمع الأمران معاً فلايحمل الكره والبغض على الظلم ، إنما لابد من العدل والقسط حتى لو وجد البغض والعداء .

ولذا قال سبحانه : (ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولايجرمنكم شنئان قوم على ألاتعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) (٧)

(١) سورة التوبة الآية (٦٧)
(٢) سورة الأعراف الآية (٨٨) .
(٣) سورة ابراهيم الآية (١٣)
(٤) سورة الممتحنة الآية (٤)
(٥) سورة المجادلة الآية (٢٢)
(٦) سورة الممتحنة الآية (٨) .
(٧) سورة المائدة الآية (٨) .

وقال ﷺ : (أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها ، أوصانى بالإخلاص فى السر والعلانية ، والعدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر .... إلخ الحديث .....»

فالمؤمن يحمل قلبا يجمع بين الموالاة ، والمعاداة ؛ والحب . والبغض ؛ والرحمة ، والشدة والعزة ، والذلة ، لكن كل صفة تتوجه إلى محلها اللائق بها شرعا ، ولقد وصفهم الله بذلك فقال : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم)[1]

ولأعرض لك الآن صور الموالاة ومظاهرها ملخصة من الولاء والبراء للقحطانى[2] :

١ - الرضى بكفر الكافرين ، وعدم تكفيرهم ، أو الشك فى كفرهم ،أو تصحيح أى مذهب من مذاهبهم الكافرة .

٢ - التولى العام واتخاذهم أعوانا وأنصاراً وأولياء ، أو الدخول فى دينهم، قال ابن جرير :« من اتخذ الكفار أعوانا ، وأنصارا ، وظهورا ، يواليهم على دينهم ، ويظاهرهم على المسلمين ، فليس من الله فى شىء ، أى قد برىء من الله وبرئ الله منه ، بارتداده عن دينه، ودخوله فى الكفر ، (إلا أن تتقوا منهم تقاه) أى : إلاأن تكونوا فى سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم ، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتضمروا العداوة ، ولايشايعوهم على ماهم عليه من الكفر ، ولايعينوهم على مسلم بفعل »[3]

٣ - الإيمان ببعض ماهم عليه من الكفر ، أو التحاكم إليهم دون كتاب الله .

٤ - مودتهم ومحبتهم ، وقد أوردت قول الله - تعالى - (لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ..)إلخ الآية[4]

---

(١) سورة الفتح آية : ٢٩ .

(٢) الولاء والبراء صـ٢٣٤ - ٢٤٩ ط . النور الإسلامية .

(٣) السابق نقلا من تفسير الطبرى ٣/ ٢٢٨ .

(٤) سورة المجادلة الآية (٢٢) .

٥ - الركون إليهم قال تعالى : (ولاتركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار، ومالكم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون) [١]

قال القرطبي : والركون حقيقته : الاستناد والاعتماد ، والسكون إلى الشيء والرضا به .

وقال قتادة : لاتودوهم ولاتطيعوهم .

وقال ابن جريج : لاتميلوا إليهم .

٦ - مداهنتهم ، ومداراتهم ، ومجاملتهم على حساب الدين ، وهو أمر وقع فيه كثير من المسلمين نتيجة الانهزام النفسي أمام قوة الكفار المادية ، وفراراً من تهمة (التعصب) .

والمداهنة ، والمجاملة بتدأ بأمر صغير ثم تكبر وتنمو حتى تؤدي إلى الخروج من الملة والعياذ بالله ، ولنتذكر أن المسلمين الأوائل انتصروا بعزتهم الإيمانية .

٧ - اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين قال - تعالى - : (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبالاً ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون)[٢] .

قال النيسابوري : نزلت هذه الآية في أناس من المؤمنين كانوا يصافحون المنافقين ويواصلون رجلا من اليهود لماكان بينهم من القرابة والصداقة والجوار فأنزل الله هذه الاية تنهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم [٣]

٨ - طاعتهم فيمايأمرون ويشيرون به فيمايضر بديننا ، قال تعالى :

(ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) [٤] .

---

(١) سورة هود الآية (١٣) .

(٢) سورة آل عمران الآية (١١٨)

(٣) أسباب النزول ص ٦٨ .

(٤) الكهف الآية (٢٨)

ويمكن الاستفادة منهم فى أمور الدنيا فقط مع الحذر ان يكون ذلك ذريعة إلى الإضرار بالدين .

٩ – توليتهم أمراً من أمور المسلمين ، كالإمارة ، والكتابة وغيرها .

١٠ – مجالستهم والدخول عليهم وقت استهزائهم بآيات الله .

قال تعالى : (وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلاتقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذا مثلهم)(١)

١١ – الرضا بأعمالهم والتشبه بهم ، والتزيى بزيهم .

١٢ – معاونتهم على ظلمهم ، ونصرتهم .

١٣ – تعظيمهم وإطلاق الألقاب عليهم مثل السادة ، والحكماء .

١٤ – التآمر معهم وتنفيذ مخططاتهم ، والدخول فى أحلافهم وتنظيماتهم، والتجسس من أجلهم ، ونقل عورات المسلمين وأسرارهم إليهم .

١٥ – الهروب من دار المسلمين إلى الحرب بغضا للمسلمين وحبا للكافرين .

١٦ – من انخرط فى الأحزاب العلمانية ، أو الإلحادية كالشيوعية والاشتراكية والقومية ، والماسونية ، وبذل لها الولاء والحب والنصرة .

---

(١) سورة النساء الآية (١٤٠) .

العقيدة وبقية جوانب الإسلام .

سبق أن ذكرنا أن الإيمان يزيد بالأعمال الصالحة ، وينقص بالمع
والذنوب ، فهناك صلة بين العمل الصالح - الذى قديكون : خلقا ، أو عباد
معاملة - وبين زيادة الإيمان ، وهناك صلة بين المعصية - التى قد ة
خلقا ، أو تركا لعبادة : أو إساءة فيها ، أو معاملة - وبين ضعف الإيمان
وهنا نفصل القول :

فأمور العقائد فى ذاتها مرتبطة ببعضها فالأساس الأول هو الإيما
وعليه ينبنى الإيمان باليوم الآخر ، والملائكة ، والكتب ، والرسل ، والقـ
والقدر . والعقيدة تتأثر بالأخلاق ، حسنها ، وسيئها ، فتزكو بالأولى ، و
بالثانية .

قال - ﷺ : « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » (١)

وقال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلايؤذى جاره ، ومن كان يؤمـ
واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل
أوليصمت » . (٢)

فنرى مماسبق أن أمور العقيدة ارتبط بعضها ببعض ، وارتبطت
بالأخلاق ، وتأثرت بها وجودا وعدما .

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان ، باب من الإيمان أن يحب لأخيه .... إلخ . وأخرجه
كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه .... (انظر اللؤلؤ والمـ
(٢٨) ١ / ١٠

(٢) هذا الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الأدب باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلايؤ
وأخرجه مسلم فى كتاب الايمان باب الحث على إكرام الجار والضيف وقول الخير . (انظر :
(٢٩) ١ / ٩٠ .

وكذا ارتبطت العقيدة بالعبادات على نحو ما أسلفنا . وقد قال - ﷺ « إذا رأيتم الرجل يرتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان »[1]

وكثيرا ما نجد الأمر بالعبادات وغيرها فى القرآن موجها للمؤمنين .

وارتبطت الأخلاق كذلك بالعبادات ، وقد جاء فى الحديث الإلهى : « ليس كل مصل يصلى إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ، ولم يستطل على خلقى ، ولم يبت مصراً على معصيتى ، وقطع نهاره فى ذكرى ، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ، ورحم المصاب ، ذلك نوره كنور الشمس ، أكلؤه بعزتى وأستحفظه ملائكتى ، أجعل له فى الظلمة نورا ، وفى الجهالة حلما ، ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة »[1]

وارتبطت العقيدة أيضا وتأثرت بالمعاملات .

فعن عائشة قالت : « ماغرت على امرأة ، ماغرت على خديجة ، ولماكنت أسمعه يذكرها ، وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها ، واستأذنت عليه أختها فارتاح إليها ، ودخلت عليه امرأة فهش لها ، وأحسن السؤال عنها ، فلما خرجت قال : إنها كانت تأتينا أيام خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان » .

والخلاصة : أن دين الإسلام كله شيء واحد لايتجزأ كالجسد الواحد. وهذا الجسد له أعضاء ، وجميعها يتأثر بعضه ببعض .

---

(١) أخرجه أحمد ، والترمذى ، وابن ماجه والدارمى ، وابن منيع ، وابن مردويه عن أبى سعيد مرفوعا . وقال الترمذى حسن غريب . وصححه ابنا خزيمة ، وحبان ، والحاكم .

وفى لفظ : إذا رأيتم الرجل يلزم المسجد فلاتحرجوا أن تشهدوا له أنه مؤمن (كشف الخفاء : ١ / ٩٣ برقم (٢٣٥) .

(٢) أخرجه البزار .

العقيدة وسد الذرائع إلى الشرك

إن العقيدة – الإيمان – أساس العمل ، فكما أنه لاعقيدة بدون عمل ، فإنه لاعمل بدون عقيدة . فهي من الأهمية بحيث أن كل عمل بدونها لاقيمة له في ميزان الإسلام .

وإن أخطر شيء حذر الإسلام منه الشرك ، إذ أنه ينسف الأعمال جميعا . فقد قال الله تعالى : (ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) (١)

والشرك يتسلل إلى النفس تسللا خفيا ، وفي صور مختلفة ، لذا حاط الإسلام العقيدة بسياج قوي يحميها من الضعف أو النقص ، ففرض فرائض ، وحد حدوداً ، وسن سننا ، وشرع شرائع تقوي العقيدة وتثبتها في قلوب أصحابها، كماذكرنا ذلك في شعب الإيمان .

ويأتي القرآن ببيان صفات المؤمنين وأنهم (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم)(٢)

ويأتي الأمر من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين ، بالإيمان بالله .

قال تعالى : (ياأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله .....) (٣)

قال الإمام النيسابوري : أي اثبتوا على الإيمان بالله .

وقال الشيخ محمد الجاوي : (ياأيها الذين آمنوا) في الماضي والمستقبل (آمنوا) في المستقبل (بالله ورسوله)(٤)

ولقد نهى الإسلام عن أمور يخشى أن تكون وسيلة وذريعة إلى الشرك ، حتى ولو لم تكن بذاتها شركاً ، ذلك لتبقى عقيدة المسلم صافية نقية لم تكدر أوتعرض للتكدير في المستقبل ، ولوكان هذا المستقبل يشهده أجيال أخرى .

(١) سورة الزمر الآية (٦٥)

(٢) سورة الأنفال الآية (٢ : ٤) .

(٣) سورة النساء الآية (١٣٦)

(٤) التفسير المنير لمعالم التنزيل للشيخ الجاوي ، وبهامشه تفسير الوجيز في تفسير القرآن العزيز للنيسابوري ١ / ١٧٩ .

ففى الصحيح عن ابن عباس - رضى الله عنهما - فى قول الله تعالى - :
(وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن ودا ولاسواعا ولايغوث ويعوق ونسرا) قال :
هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، ولم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ، ونسى العلم عبدت .

وقال ابن القيم : قال غير واحد من السلف : لماماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم [(١)]

وإن للشيطان خطوات وهو لاييأس أبدا ، وإنما هو ملحاح بطئ اليأس ، فإن لم ينجح فى إيقاع المسلم فى الشرك أوقعه فى البدعة ، أو الكبيرة ثم يحاول إيقاعه فى الشرك بعد تهيئته وتحضيره .

ولقد جاء النهى عن تصوير الصور ، واتخاذها ، وكذلك بيعها ، وشراؤها على وفق القاعدة :

ماحرم استعماله حرم اتخاذه .

والقاعدة : ماحرم أخذه حرم إعطاؤه .[(٢)]

قال فى الحجة البالغة :

ومنها - المنهى عنه - صناعة التصاوير فى الثياب ، والجدران ، والأنماط ، فنهى عنها النبى - ﷺ - ومدار النهى شيئان :

أحدهما : أنها أحد وجوه الإرفاء والزينة ، فإنهم كانوا يتفاخرون بها ويبذلون أموالا خطيرة فيها ، فكانت كالحرير ، وهذا المعنى موجود فى صورة الشجر وغيرها .

وثانيهما : أن المخامرة بالصور واتخاذها وجريان الرسم بالرغبة فيها يفتح باب عبادة الأصنام ، وينوه أمرها ، ويذكرها لأهلها ، ومانشأت عبادة الأصنام فى أكثر الطوائف إلا من هذه .

قال : وهذا المعنى يختص بصورة الحيوان ، ولذلك أمر بقطع رأس التماثيل ، لتصير كهيئة الشجر .

---

(١) الجامع الفريد / كتاب التوحيد للشيخ / محمد بن عبدالوهاب (صـ : ٨٩)

(٢) الأشباه والنظائر فى قواعد وفروع فقه الشافعية للسيوطى (ص : ١٦٧) .

قال - ﷺ - « إن البيت الذى فيه الصورة ، لاتدخله الملائكة » .

وقال - ﷺ - : « كل مصور فى النار يجعل له بكل صورة صورها نفسا فيعذبه فى جهنم » .

وقال - ﷺ - : من صور صورة عذب وكلف أن ينفخ فيها وليس بنافخ » .

قال : لماكانت التصاوير فيها معنى الأصنام ، وقد تحقق فى الملأ الأعلى داعية غضب ولعن على الأصنام وعبدتها وجب أن يتنفر منها الملائكة ، وإذا حشر الناس يوم القيامة بأعمالهم تمثل عمل المصور بالنفوس التى تصورها فى نفسه وأراد محاكاتها فى عمله ، لأنها أقرب ماهنالك ، وظهر إقدامه على المحاكاه ، وسعيه أن يبلغ فيها غاية المدى فى صورة التكليف بأن ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخ)[1]

وهناك بعض صور متفق عليها بالحل ، وأخرى بالحرمة ، وثالثة مازالت محل خلاف بين العلماء ، ليس هذا موطن عرضها .

الغلو فى الصالحين :

ومن باب سد الذرائع إلى الشرك ، جاء النهى عن الغلو فى الصالحين إطراءا ومحبة حتى الأنبياء .

وقد جاء فى الحديث : « لاتطرونى كماأطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا : عبدالله ورسوله » أخرجاه فى الصحيحين .

وقد قال ﷺ : « إياكم والغلو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو » .

---

(١) حجة الله البالغة صـ١٩٢ ط . مصورة عن طبعة هندية سنة ١٣٥٥ هـ .

الذبح بمكان يذبح فيه لغير الله :

ومن ذلك أيضا جاء النهى عن القيام بنسك أو عبادة بمكان يحدث فيه إشراك بالله سبحانه وتعالى .

عن ثابت بن الضحاك - رضى الله عنه - قال : نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة فسأل النبى - ﷺ - فقال : هل كان فيهاوثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ قال : لا ، قال : فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ قال : لا .

فقال رسول الله - ﷺ - : « أوف بنذرك ، فإنه لاوفاء لنذر فى معصية الله ولافيمايملك ابن آدم » .

رواه أبو داود وإسناده على شرطهما .(١)

فالحديث دل على أن اتخاذ أماكن الشرك والمعاصى لايجوز أن يعبد الله فيها . ومن الأمور المنهى عنها لكونها ذريعة إلى الشرك ، زيارة القبور على غيره ، الوجه الشرعى ، كالتمسح بها ، والدعاء عندها ، رجاء قبوله ، وإسراجها ، وبناء المساجد عليها .

ومن الأمور التى ينبغى الحيطة فيها جيداً (التوسل) وتمييز الشرعى من غيره والمتفق عليه ، والمختلف فيه ، حتى يعبد الإنسان ربه حق العبادة دون تفريط أو إفراط .

وفى ذلك كله كلام طويل ليس محل ذكره هذا المختصر إنما أردنا التنبيه وكفى حتى نوفيه فى موضع آخر .(٢)

وختاماً : أسأل الله تعالى أن يعلمنا ماينفعنا ، وأن ينفعنا بماعلمنا ، وأن يصحح عقيدتنا ، ويقوى إيماننا ...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) الجامع الفريد / كتاب التوحيد صـ ٦١ ، ٦٢ .

(٢) للمزيد فى مسألة التوسل يمكن مراجعة كتاب : قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة لابن تيمية ، تحقيق : سالم محمود عبدالجليل ط . نهر النيل .

المراجــــــع

١ - الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان .

٢ - الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعيه للسيوطي

٣ - أصول العقيدة الإسلامية للأستاذ / عبدالمنعم صالح العلي العزي - الوفاء .

٤ - الإيمان أركانه ونواقضه د / محمد نعيم يس . - دار التوزيع والنشر

٥ - الإيمان والحياة د / يوسف القرضاوي - مكتبة وهبه .

٦ - التذكرة للقرطبي . - دار الجيل .

٧ - الترغيب والترهيب . - دار التراث .

٨ - تعريف عام بدين الإسلام للشيخ علي الطنطاوي . - مكتبة وهبه ..

٩ - تفسير ابن كثير للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير - دار التراث .

١٠ - تفسير القرطبي للإمام أبي عبدالله القرطبي . - دار الشعب .

١١ - التفسير المنير لمعالم التنزيل للشيخ الجاوي

١٢ - الجامع الصغير للإمام السيوطي . - دار القلم .

١٣- الجامع الفريد / شرح كتاب التوحيد للشيخ محمد عبد الوهاب.

١٤ - الجداول الجامعة في العلوم النافعة / العقيدة . - الدعوة / الكويت .

١٥ - حجة الله البالغة لولي الله الدهلوي

١٦ - رساله العقائد للأستاذ حسن البنا . - دار الشهاب

١٧ - رياض الصالحين للإمام النووي . - دار الريان .

١٨ - سنن أبي داود . -

١٩ - سنن ابن ماجه . - عيسى الحلبي.

٢٠- سنن الترمذي - مصطفى الحلبي .

٢١ - سنن الدارمي . - الريان .

٢٢ - سنن النسائي . - الريان .

٢٣ - شرح الأربعين النووية للنووي - الشمرلي

٢٤ - شرح العقيدة الطحاوية للإمام أبي العز الأزرعي . - دار التراث .

٢٥ - شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية تأليف / محمد خليل هراس . - دار ادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشادبالسعودية

٢٦ - صحيح البخارى - عيسى الحلبى .

٢٧ - صحيح مسلم تحقيق فؤاد عبدالباقى - عيسى الحلبى .

٢٨ - العقائد الإسلامية للشيخ سيد سابق . - دار الكتب الإسلامية .

٢٩ - عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالى . - دار التراث الإسلامية .

٣٠- العقيدة وآثرها فى بناء الجيل . د عبدالله عزام - دار الإسراء

٣١ - فتح البارى . - الريان .

٣٢ - الفتوحات الإلهية (حاشية الجمل على تفسير الجلالين) - عيسى الحلبى .

٣٣- فى ظلال القرآن للأستاذ / سيد قطب . - دار الشروق .

٣٤ - قبسات من الرسول للأستاذ / محمد قطب . - مؤسسة الرسالة .

٣٥ - كشف الخفاء ومزيل الالتباس للامام العجلونى . - مؤسسة الرسالة .

٣٦ - الكلم الطيب لابن تيمية .

٣٧- اللؤلؤ والمرجان للأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى . - عيسى الحلبى .

٣٨ - الله فى العقيدة الإسلامية .للأستاذ حسن النبا . - دار الشهاب .

٣٩ - مبادئ الإسلام للاستاذ / أبى الأعلى المودودى . - التراث الاسلامى .

٤٠- مجموع فتاوى ابن تيمية . - مطابع الرياض بالسعودية .

٤١ - مدارج السالكين .

٤٢- مفتاح كنوز السنة . - دار ترجمان السنة .

٤٣ - النهاية فى الفتن والملاحم لابن كثير .

٤٤ - نور اليقين للشيخ محمد الخضرى - مكتبة المنار

٤٥ - الوجيز فى تفسير القرآن العزيز للنيسابورى .

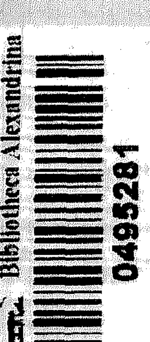
٤٦ - الولاء والبراء للقحطانى . - مكتبة النور الإسلامية .

محـــتويات الكتاب



[هذا الكتاب]

* يتناول بيان العقيدة الإسلامية بعبارات سهلة، يدركها كل من أراد فهم عقيدته، دون خوض فى أقوال الفرق المختلفة .
* ربط الاعتقاد الباطن بالعمل الظاهر مع بيان سمات هذه العقيدة وعرض لشعب الإيمان .
* شرح أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا بما يمكن القارىء من حسن التعرف على ربه وخالقه سبحانه وتعالى، مع التعليق على كثير من الآيات القرآنية .
* عرض الأثر العملى والثمرة لكل ركن من أركان الإيمان، وبيان الأمور التى تخل بعقيدة الإنسان فتنقضها أو تضعفها .
* عرض لأمور متعلقة بالإيمان كـ (لا إكراه فى الدين، وهيبة العقيدة وحمايتها من المفسدين، والموالاة والمعاداة، وصلة العقيدة بجوانب الإسلام الأخرى، والروح، والجن، ضوابط محبة الصالحين وغيرها من مباحث قيمة .
* ويكفى أنه خلاصة لعدد من كتب العقيدة فى هذا الحجم ا



رقم الإيداع ٩٤/١٨٠٤
I.S.B.N. 977 00 - 6447 - 5